جامعة الأزهر الشريف
كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية
قسم التفسير وعلوم القرآن

فتـــح البيـــان
في دفع الشبهات المثارة
حـول المكي والمدنـي من القـرآن

أ . د / فتحي أحمـد علـــي حسـن
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الملخص

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ أما بعد:

إن علم المكي والمدني بدأ بشكل روايات يتناقلها الصحابة والتابعون، "ولم يرد في ذلك بيان عن النبي ﷺ وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانا .

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أقسمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس :

أما المقدمة فتشتمل على أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث

المبحث الأول: الشبهات وما يتعلق بها، ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف الشبهات ونشأتها.

المطلب الثاني: دوافع إيراد الشبهات.

المطلب الثالث: منهج القرآن في الرد على الشبهات.

المبحث الثاني: الشبهات المثارة حول المكي والمدني ودفعها، ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: دفع شبهة حول مغايرة الأسلوب بين القرآن المكي والمدني.

المطلب الثاني: دفع شبهة حول قصر الآيات والسور المكية، وطول الآيات والسور المدنية.

المطلب الثالث: دفع شبهة القول بخلو المكي من المنطق والبرهان في مناقشة الخصوم بخلاف المدني.

المطلب الرابع: دفع شبهة القول بخلو المكي من التشريعات والأحكام العملية بخلاف المدني.

المطلب الخامس: دفع شبهة حول التشكيك في القرآن وإثبات أنه تأثر بالوسط الذي وجد فيه

المطلب السادس: دفع شبهة القول بأن المكي من القرآن قد اشتمل على لغو من الكلام في كثير من فواتح السور بخلاف المدني.

أما الخاتمة : فقد تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات.

Fath Al-Bayan for Invalidating Misconceptions Raised About the Meccan and the Madinan In the Holy Quran

Abstract

Praise is to Allah from whom we seek help and forgiveness, and we seek refuge from the evils of ourselves and our evil deeds, and those whom Allah guides them, there is no astray for them, and those whom Allah sends them astray, there is no guide for them, and I bear witness that there is no god to be worshiped except Allah, and that Muhammad, peace and blessing of Allah be upon him, is the Messenger of Allah, to proceed:

The Meccan and the Madinan science started as a form of narrations conveyed by the Messenger's Companions and Followers, but those narrations are not stated by the Prophet, peace and blessing of Allah be upon him, himself because Muslims were no in the need of such statement as they were themselves attending the revelation and its place, its time, and its reasons.

The research of that subject needed to be divided into two sections including; the introduction, three discussions, conclusion and appendixes.

As for the introduction, it involves the importance of this subject, the reason for choosing it and the research plan.

First Discussion: Misconceptions and related issues. The discussion includes the following inquiries:

The First Inquiry: Definition of misconceptions and their emergence.

The Second Inquiry: Reasons of raising misconceptions.

The Third Inquiry: Quran's method of refuting misconceptions.

Second Discussion: Misconceptions raised about the Meccan and the Madinan and how to invalidate them. This includes the following inquiries:

The First Inquiry: Refuting a misconception about the differentiation between the methods of Meccan and Madinan Quran.

The Second Inquiry: Refuting a misconception about the shortness of Meccan verses and suras and the length of Madinan verses and suras.

The Third Inquiry: Refuting the misconception that claims that the Meccan is free of reason and proof during the arguments with opponents, while the Madinan is not.

The Fourth Inquiry: Refuting the misconception that claims that the Meccan is free of legislations and practical provisions, while the Madinan is not.

The Fifth Inquiry: Refuting the misconception that arouses suspicions about the Holy Quran and proving that it's influenced by the community in which it's found.

The Sixth Inquiry: Refuting the misconception that claims that the Meccan included nonsense words in many openings of the suras in comparison with the Madinan.

As for the Conclusion, it included the most important results that I reached through the research.

Finally, I ended the research by adding an appendix of sources, references and another for the subjects.

Professor: FATHY AHMED ALY

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) ﴾ (الكهف: ١-٣) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، المتفرد بالجلال بكمال الجمال والمتفرد بتصريف الأحوال، رب الأرباب ومسبب الأسباب، وخالق الخلق من تراب، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، فتح الله به أعيناً عمياً، وقلوباً غلفاً وآذاناً صماً، أقام الله به الدين، وأذل به الشرك والمشركين، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يحيد عنها إلا مفتون.

اللهم صلِّ وسلِّم على هذا النبي الكريم، وآله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرِّ الميامين ومن تبعهم بإحسان من الغر المحجلين.

أما بعد

فإن القرآن الكريم نور الله في خلقه وسر هدايته لعباده، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} (الشورى: ٥٢-٥٣).

وهو كتاب شهد ملك الملوك أنه أنزله إلى رسوله بعلمه ومعه أعظم الشهود «الملائكة الكرام» قال ﷻ:{لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} (النساء: ١٦٦).

وتكفل الله بحفظه، فقال ﷻ:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)، فهو آمن من أن يعتريه ما اعترى الكتب قبله من التحريف والتبديل والزيادة

والنقصان، فقد كانت الكتب السماوية قبله موكولة في الحفظ لأتباعها، فغيروها وحرفوها، أما القرآن فتكفل الله بحفظه، فلا تحريف ولا تغيير ولا تبديل، لأنه بشهادة الله كتاب عزيز ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد ﴾ (فصلت: ٤٢).

وقد ثبت بأعظم البراهين أنه من المستحيل أن يصدر القرآن عن قلب بشر أو مخلوق كائناً من كان، لأن التحدي الإلهي به قائم، ولم ولن يهدمه أحد، والقرآن أكد ذلك بأسطع بيان، فقال: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ (الإسراء: ٨٨).

ولأن القرآن الكريم مفجر العلوم ومنبعها، وكتاب الهداية الأعظم، والإعجاز الأكبر والأصل الأصيل لهذا الدين الخاتم، فمنذ نزوله على قلب النبي ﷺ بدأ الصراع بين الحق والباطل، وبدأ المشركون بإثارة الشبهات والطعون حول القرآن الكريم، وحول شخصية النبي ﷺ، فقالوا بأن القرآن أساطير الأولين، وقالوا سحر يؤثر، وقالوا إفك افتراه محمد، واتهموا النبي ﷺ بالكهانة والسحر والجنون ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) ﴾ (الكهف: ٥)

وكلما زادت طعونهم في القرآن أفحمهم الله وردَّ عليهم، ولَّما بَانَ عجزهم وضعفهم عاونهم إخوانهم فى الغي والضلال من اليهود والنصارى لهدم هذا الدين وقالوا –وهم أهل الكتاب – لعبدة الأوثان أنتم أهدى سبيلاً من محمد وأتباعه، وادَّعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن لهم الدار الآخرة خالصة من دون الناس، وزعموا بأن دخول الجنة قاصر عليهم، فتصدى القرآن الكريم لهؤلاء المضلين وفنَّد شبهاتهم ودحضها وبيَّن عُوَارُها، وصدق الله القائل: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة : ١٢٠)

فاليهود والنصارى لتحريفهم كتبهم التي نزلت على أنبيائهم لم تعد لديهم حجة صحيحة، ولا شيء يستندون إليه، فلذا أخذوا يطعنون في القرآن وأحكامه، ليغيروه ويهدموه، وهيهات، فإن هذا الدين محفوظ بحفظ الله، وقد وعد بنصر أهله ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) ﴾ (الصافات: ١٧١-١٧٣) .

والمتتبع لأحداث التاريخ يرى أن سيل الشبهات التي يثيرها المشككون والمبطلون من خصوم الدين لم يتوقف، فلا تزال الشبهات القديمة تظهر حتى اليوم في أثواب جديدة، وحُلىً زائفة، يحاول مروجوها أن يضفوا عليها الطابع العلمي، فمنذ العصور الوسطى وهزيمة النصارى أمام المسلمين وعجزهم عن التغلب عليهم، بحثوا وفتشوا عن سر قوة المسلمين فعلموا أنها تمسكهم بدينهم، والتزامهم بتعاليم قرآنهم، فأخذوا يتلمسون المطاعن في القرآن ويثيرون الشبهات ويشككون في الدين الإسلامي، وسار على نهجهم في العصور الحديثة المبشرون والمستشرقون الذين اهتموا بالدراسات الإسلامية والعربية لا لخدمة الإسلام، بل لنقده والطعن في أصوله، واستغلوا بعض الروايات الضعيفة والواهية التي وردت في المصادر الإسلامية، وبعض الروايات الصحيحة التي حمَّلوها ما لا تحتمل، وفهموها على غير المراد منها، ليشككوا الناس في هذا الدين العظيم، ومما يؤسف له أن بعضاً من أدعياء العلم والثقافة من المسلمين صاروا أذناباً لهؤلاء الملاحدة، وأخذوا يرددون كلامهم، ويطعنون في دينهم، متسربلين بشعار البحث العلمي والحرية الفكرية، وكذبوا في دعواهم.

وقد سخَّر الله ﷻ لهذا الدين من ينافح ويدافع عنه، فهم ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) ﴾ (الصف: ٨-٩)

والقرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة، بل نزل منجمًا ومفرقًا بحسب الوقائع التي تقتضي نزول ما ينزل منه.

وكان نزول القرآن على النبي ﷺ في مدى ثلاث وعشرين سنة تقريبا، فبعضه نزل في مكة، وبعضه الآخر نزل بالمدينة بعد الهجرة، فكان يتزل عليه القرآن أينما أقام في السفر والحضر، فكان منه المكي والمدني .

إن علم المكي والمدني بدأ بشكل روايات يتناقلها الصحابة والتابعون، "ولم يرد في ذلك بيان عن النبي ﷺ وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتتزيل ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانا، (وليس بعد العيان بيان)

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أقسمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس .

أما المقدمة فتشتمل على أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث ومنهج العمل فيه

المبحث الأول : الشبهات وما يتعلق بها، ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف الشبهات ونشأتها.

المطلب الثاني: دوافع إيراد الشبهات.

المطلب الثالث: منهج القرآن في الرد على الشبهات.

المبحث الثاني: الشبهات المثارة حول المكي والمدني ودفعها، ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: دفع شبهة حول مغايرة الأسلوب بين القرآن المكي والمدني.

المطلب الثاني: دفع شبهة حول قصر الآيات والسور المكية، وطول الآيات والسور المدنية.

المطلب الثالث: دفع شبهة القول بخلو المكي من المنطق والبرهان في مناقشة الخصوم بخلاف المدني.

المطلب الرابع: دفع شبهة القول بخلو المكي من التشريعات والأحكام العملية بخلاف المدني.

المطلب الخامس : دفع شبهة حول التشكيك في القرآن وإثبات أنه تأثر بالوسط الذي وجد فيه

المطلب السادس: دفع شبهة القول بأن المكي من القرآن قد اشتمل على لغو من الكلام في كثير من فواتح السور بخلاف المدني.

أما الخاتمة : فقد تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات.

من الأسباب التي لأجلها اخترت موضوع البحث:

دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة دوافع أوجزها فيما يلي:

١ – كثرة المطاعن في هذا الزمن خاصة على القرآن، واتهامه بالتناقض، سواء من المستشرقين، أو من أعداء الدين، أو ممن ينتسبون للإسلام.

٢ – تأثر بعض المسلمين بهذه الشبه التي تثار، فكان لزاما على طلبة العلم وأهله كشف هذه الشبه، وبيان فسادها للناس أجمعين.

٣ – إثبات إعجاز القرآن، وأنه من عند الله، وأن الله تكفل بحفظه حقا.

٤ – كشف شبه الطاعنين وأكاذيبهم، وبيان أنها ترديد لما أورده الطاعنون السابقون.

منهجي في البحث:

اعتنى علماء الأمة الإسلامية بدراسة موضوعات علوم القرآن الكريم، وأفردوا لها التأليف والتصنيف، وخدمها الباحثون وما زالوا، إلا أنه ما زال بعضها بحاجة إلى تصنيف مستقل ودراسة خاصة ومزيد عناية لأهميتها.

ومن هذه المباحث دفع الشبهات المثارة حول موضوعات علوم القرآن التي لم تحظ بهذه العناية مع وجود الداعي إلى ذلك، إنما أشار إليها بعض العلماء في مؤلفاتهم دون إفرادها بمبحث خاص.

اجتهدت بقدر الطاقة البشرية أن أسلك منهجا علميا متكاملا فحرصت على الالتزام بما يلي:

١ – قمت بجمع الشبهات والرد عليها من مظانها وهي أمهات كتب علوم القرآن.

٢ – وثقت النصوص من مصادرها الأصلية بذكر اسم الكتاب والمؤلف ورقم الجزء والصفحة وجهة الطبع في الهمش والمراجع.

٣ – وضعت عناوين للمباحث والمطالب الخاصة بالبحث.

٤ – نسبت الأقوال لقائليها بالتصريح باسم القائل أو الاكتفاء بالإحالة إلى كتاب من كتبه.

٥ – عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع بيان رقم الآية في السورة.

٦ –خرجت الأحاديث مع الحكم عليها وعزوها لمصادرها.

٧ – ذيلت البحث بخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

المبحث الأول
الشبهات وما يتعلق بها

دفع الشبهات المثارة حول القرآن منهج أصيل ورد به القرآن الكريم وكذا السنة النبوية المطهرة، وإن من أوجب الواجبات على علماء الأمة الإسلامية وأتباع القرآن العظيم وبخاصة الذين لهم تعلق مباشر بالدراسات القرآنية أن ينافحوا عن كتاب ربهم ويقفوا بالمرصاد لكل من تسول له نفسه الأمارة بالسوء الطعن والتشكيك فى خير كتاب أنزل على قلب خير البشر لخير أمة على وجه البسيطة.

ومن المعلوم أن هؤلاء الذين يثيرون الشبهات لم يتركوا لمتابع منصف باباً ليعذرهم بالجهل أو سوء الفهم، كيف يعذرهم وهو يلمح في هذه الشبهات والأباطيل معالم رئيسة مخزية لا تخطئها عين متأمل حصيف، فالكذب حيلة من لا حيلة عنده ولا دليل، وهو مسلك درج عليه وسار في ظلماته من يثير الشبهات والأباطيل حول القرآن الكريم حين أعيتهم الحيل أن يجدوا في القرآن مطعناً ، فلما علموا أن الكذب بضاعة ينطلي باطلها على الكثيرين من الدهماء والعامة الذين لن يتيسر لهم اكتشاف هذه الأكاذيب؛ أشرعوا فيه سفنهم، فما زالوا يكذبون، حتى صدقوا أنفسهم فيما يدَّعون.

وسأتحدث بمشيئة الله تعالى في هذا المبحث عن تعريف الشبهات لغةً واصطلاحاً، وسبب التسمية، ومنشأ هذه الشُّبَه، ودوافع إيرادها فأقول وبالله التوفيق:

المطلب الأول
تعريف الشبهات ونشأتها

أولا: تعريف الشبهات لغةً واصطلاحاً

الشبهات لغة: جمع شبهة، يقال شابهه وأشبهه ماثله وتشابها واشتبها أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا وشبّهه إياه وبه مَثّله وأمور مشتبهة: مُشْكِلة والشُبهة بالضم الالتباس والمِثل وشُبّه عليه الأمر تشبيهاً لُبِّس عليه، واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لإشباه بعضها بعضاً، واشتبهت الأمور وتشابهت التبست فلم تتميز وتظهر ومنه اشتبهت القبلة، والشبهة في العقيدة المأخذ المُلبَّسُ سميت شبهة لأنها تُشبه الحق، وشُبّه عليه الأمر لُبِّس وخُلِّط [١].

فالمعاني السابقة كلها تدور حول معنى الخلط والإشكال والالتباس مما يدل على المراد منها فالشبهة كالليل المظلم لا وضوح فيه ولا بيان.

واصطلاحاً: ما التبس أمره فلا يدري أحلال هو أم حرام وحق هو أم باطل، وقيل الشبهة مشابهة الحق للباطل والباطل الحق من وجه إذا حقق النظر فيه ذهب [٢].

قال ابن القيم "رحمه الله" الشبهة: وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له فمتى باشر القلب حقيقة العلم لم تؤثر تلك الشبهة فيه بل يقوي علمه ويقينه بردها ومعرفة بطلانها ومتى لم يباشر حقيقة العلم بالحق قلبه قدحت فيه الشك بأول وهلة فإن تداركها وإلا تتابعت على قلبه أمثالها حتى يصير شاكاً مرتاباً [٣].

---

(١) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري ٤٩٣/١، القاموس المحيط ١٢٤٧/١، لسان العرب ٥٠٣/١٣، تاج العروس ٤١١/٣٦، المصباح المنير ٣٠٣/١.

(٢) ينظر: التعريفات ص١٣٤، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٢٠١، المعجم الوسيط ٤٧١/١.

(٣) مفتاح دار السعادة جـ١/١٤٠.

ثانيا: سبب التسمية:

سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل وأكثر الناس أصحاب حُسن ظاهر فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس فيعتقد صحتها، وأما صاحب العلم واليقين فإنه لا يغتر بذلك بل يجاوز نظره إلى باطنها وما تحت لباسها فينكشف له حقيقتها [١].

ثالثا: منشأ هذه الشُّبَهات:

هناك أمور ساعدت على نشأة الشبهات وإثارتها ولفت الأنظار إليها وإشاعتها ومن أهم هذه الأمور:

١ – روايات واهية ومختلقة وباطلة اشتملت عليها بعض الكتب الإسلامية.

٢ – روايات صحيحة لها مخارج مقبولة، ومحامل صحيحة، ولكن صرفها أعداء الإسلام إلى محامل ترضى أحقادهم وتشفي نفوسهم المريضة وتحقق ما يسعون إليه من حرب على الإسلام ودس الدسائس له.

٣ – ما حصل من بدايات جمع القرآن وأثنائه من أمور استغلت لإثارة الشبه.

كل هذه الأمور وغيرها ساعدت الأعداء على اختلاف ألوانهم وأشكالهم من يهود ونصارى وكفار ومستشرقين ومفتونين من أبناء الإسلام، فيوردون الشبهة، ويضيفون إليها ما شاءت لهم نفوسهم الحاقدة على الإسلام والمسلمين مما هو من وهم الخيال والأوهام، ومن صنيع الأحقاد، ويطيرون به فى كل مطار يحاولون إسقاط الحق وتشويه صورته.

وما هذه الشُّبَه التي ذهبوا إليها إلا شكوك وأوهام تلقفوها من هنا وهناك يروجونها باسم العقل مرة وباسم العلم مرة أخرى، وصدق الله العظيم ﴿ وَلَنْ تَرْضَى

(١) المصدر السابق١/١٤٠، ٤١.

عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ البقرة- ١٢٠.وقال سبحانه ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩) ﴾ النساء – ٨٩. وقال عز من قائل ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) ﴾ الصف- ٨.[١] .

(١) ينظر: رفع الالتباس بدفع الشبه المنسوبة لابن مسعود وابن عباس، ص ٨٣، نقلاً عن كتاب النور المبين فى دفع شبهات المستشرقين، للأستاذ الدكتور: عبد المنعم رماح ص١٥.

المطلب الثاني
دوافع إيراد الشبهات

يمكن إجمال هذه الدوافع فيما يأتي:

١- دافع نفسي: وهو تزييف الحقائق وتحريفها تعبيراً عن الإخفاق والعجز عن مواجهتها، فالعجز عن مواجهة الخصم يتحول فى الأعم الأغلب إلى الافتراء عليه، كما أن التلبس بالصفات السلبية دافع لوصف الآخرين بها درءاً للاتهام على طريقة "رمتني بدائها وانسلت" وهو ما يُعرف عند علماء النفس بالإسقاط [(١)]. حيث أن الإسقاط حيلة من الحيل الدفاعية التى يلجأ إليها الفرد للتخلص من تأثير التوتر الناشئ فى داخله ذلك أن الغلبة تكون للفكر الأقوى والإسلام كما يشهد الواقع عقيدة وأخلاقاً هو الأقوى، فقوته ليست من قوة أتباعه كما فى العقائد الأخرى، ولكن قوته ذاتية تتأتى من ربانية هذا الدين لأنه الحق، لأنه الخير، لأنه السلام والأمن، لأنه الحقيقة التى لم تتعرض لزيف أو تحريف أو تشويه.

ومن هنا كان إخفاق الغرب على المستوى الفكري والمعرفي – على الرغم من تفوقه سياسياً واقتصادياً وعسكرياً – دافعاً إلى الخروج عن العقلانية والحوار المنصف، واللجوء إلى القوة وإلى التشويه، والإفساد ظلماً وعدواناً.

٢- دافع معرفي: وهو إخفاق الغرب فى مواجهة الإسلام فكرياً على الرغم من

---

(١) الإسقاط: حيلة لا شعورية تتلخص فى أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه ورغباته المستكرهة التي لا يتعرف بها إلى غيره من الناس أو الأشياء أو الأقدار.... وذلك تنزيهاً لنفسه وتخففاً مما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب. أصول علم النفس د./ أحمد عزت راجح: طبع دار الكتاب العربي – القاهرة – السابعة – سنة ١٩٦٧م.

هزيمة المسلمين سياسياً واقتصادياً وعسكرياً في الوقت المعاصر فالافتراء على القرآن والطعن فيه في القرون الوسطى جاء نتيجة إخفاق الكنيسة في مواجهة الإسلام عقائدياً حيث تتهاوى عقيدة التثليث أمام عقيدة الوحدانية لله تعالى – يضاف إلى هذا انعزال الكنيسة عن الحياة في مقابل أن الإسلام دين ودنيا، فلم يكن من سبيل أمام الكنيسة من سبيل لصد النصارى عن الدخول في الإسلام سوى تشويه رسالة الإسلام، ولا يزال الغرب حتى الآن يمارس إقصاء ونبذ الآخر بمواصلة الطعن في القرآن وفى نبوة النبي محمد ﷺ وفى الوقت نفسه ينعت الإسلام بأنه هو الذي يمارس إقصاء الآخر.

٣- دافع المصلحة: فالمنتفعون على مستوى العالم بتجارة الرقيق، والربا والخمور والمخدرات وأسلحة الدمار الشامل، ومؤسسات الربا العالمية ومؤسسات الأزياء والتجميل.. إلخ يحاربون "القرآن – الإسلام" لأنه يُحرم هذه الموبقات التي أورثت العالم الغلاء وكان الكثير منها وراء إثارة الفتن والحروب فى العالم الثالث ترويجاً لتجارتهم وجعل هذه البلاد أسواقاً للسلاح والمخدرات وغيرها [١].

أهم المصنفات فى هذا العلم:

بدأ التشكيك فى القرآن الكريم؛ وإثارة الشبهات حول مصدر الشريعة منذ البدايات الأولى لنزول القرآن الكريم، وقد وقف العلماء بالمرصاد لكل من يثير هذه الفتن والشبهات ومن أهم المصنفات فى هذا العلم:

(١) ينظر: موسوعة بيان الإسلام، الرد على الافتراءات والشبهات / القسم الأول، القرآن جـ١/٤٦ وما بعدها، ط دار نهضة مصر، إعداد نخبة من العلماء ومنهج القرآن فى الرد العلمي على الشبهات والافتراءات، د./ محمد داود، مجلة منبر الإسلام، ص٢٤، جمادي الآخرة ١٤٣٤هـ

١- الرد على ابن الرواندي الملحد للجاحظ "ت٢٥٥هـ".

٢- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري "ت٢٧٦هـ"

٣- التمهيد وإعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني "ت٤٠٣هـ"

٤- تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار "ت٤١٥هـ"

٥- حقائق الإسلام وأباطيل خصومة للأستاذ عباس محمود العقاد.

٦- شبهات حول الإسلام للأستاذ محمد قطب.

٧- دفاعاً عن القرآن ضد منتقديه لعبد الرحمن بدوي.

بالإضافة إلى ما تعرض له المفسرون فى كتب التفسير وعلوم القرآن وبخاصة:

١- معاني القرآن للفراء.

٢- الكشاف للزمخشري.

٣- مفاتيح الغيب للرازي.

٤- روح المعاني للآلوسي.

٥- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا.

٦- التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور.

٧- مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني.

٨- المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد محمد أبو شهبة.

المطلب الثالث

منهج القرآن الكريم في الرد على الشبهات

أرسل الله ﷻ نبيه محمد ﷺ هادياً ومبشراً ونذيراً بدستوره الخالد وكتابه المحكم ليخرج الناس من ظلمات الجهل والشك والشرك إلى نور العلم واليقين والإيمان، ومنذ أن دعي النبي ﷺ الناس إلى الإيمان بالله الواحد والمساواة بين البشر أجمعين، ما انفك المشركون عن مجابهته بالمعارضة والتشكيك فى النبي تارة وفى القرآن تارة أخرى، وبالرغم من كونهم أرباب الفصاحة والبلاغة وعجزهم عن الإتيان بما تحداهم به القرآن من الإتيان بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة منه لم يُسلِّموا لهذا القرآن وهذا النبي بل طعنوا فى القرآن واتهموا النبي ﷺ.

وسأذكر فيما يأتي بعضا من هذه الردود على افتراءاتهم:

أولا : رد القرآن على ما أثاره المشركون من شبهات

كفار مكة هم أول من تعرض لنقد القرآن الكريم وإثارة الشبهات حوله وحول النبي الكريم ﷺ فقالوا عن القرآن ما يأتي:-

أ – قالوا بأنه أساطير الأولين فحكى الله ذلك قائلاً{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥)} الفرقان: ٥، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١) ﴾ الأنفال: ٣١ ، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤) ﴾ النحل: ٢٤، فرد عليهم ﷻ بقوله : ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦) ﴾ الفرقان : ٦.

ب – وقالوا عن القرآن بـــأنه سحر وبأنه قول البشر قال ﷻ ﴿ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) ﴾ المدثر: ٢٤ – ٢٥ . فرد

الله عليهم بأنه ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) ﴾ فصلت: ٢, وبأنه ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) ﴾ الواقعة: ٨٠ .

ج – واتهموا النبي ﷺ بالجنون فقالوا فيما حكاه القرآن عنهم ﴿ وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) ﴾ الحجر: ٦، فرد الله عليهم بقوله ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) ﴾ القلم: ٢، وقال ﷻ :﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) ﴾ التكوير: ٢٢

د– وحينما اتهموا النبي بالكهانة والشعر رد الله عليهم بقوله: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) ﴾ الحاقة: ٤٠ – ٤٣

هـ– وحينما اتهموا النبي بأنه تقوله وافتراه وأعانه آخرون عليه حكى الله ذلك ورد عليهم بقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) ﴾ الطور: ٣٣–٣٤ وقال ﷻ عنهم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) ﴾ الفرقان: ٤، وقال ﷻ:﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣) ﴾ السجدة: ٣.

و– واتهموا النبي ﷺ بأنه تعلم القرآن من أعجمي فحكى الله ذلك ورد عليهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣) ﴾ النحل: ١٠٣

ز– ولما سخروا من النبي من كونه مرسلا من عند الله وهو مثلهم يأكل الطعام ويمشي فى الأسواق حكى الله ذلك بقوله ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧)﴾ الفرقان:

٧- فرد الله عليهم بقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠) ﴾ الفرقان: ٢٠

ح- وطلبوا من النبي ﷺ أن يبدل القرآن أو يأتي بغيره فحكى الله ذلك ورد عليهم بقوله ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦)﴾ يونس: ١٥ – ١٦

ولم يكتف القرآن الكريم بالرد على ما أثاره المشركون من شبهات بل قام بالرد أيضاً على ما أثاره أعداء الإسلام من اليهود والنصارى من شبه ليشككوا فى هذا الدين وهذا النبي، ومعلوم أن عداوة اليهود والنصارى للإسلام قديمة منذ هجرة النبي وصحابته للمدينة المنورة وزادت واشتدت كلما رأوا تقدم الإسلام وكثرة الداخلين فيه وتغلغل مبادئه فى نفوس أتباعه وخير دليل على ذلك ما جاء فى سيرة ابن هشام وغيرها من كتب السيرة فى قصة مقدم النبي ﷺ المدينة، عن أم المؤمنين صفية –رضي الله عنها– قالت: لما قدم رسول الله ﷺ غدا إليه أبي وعمى أبو ياسر ابن أخطب، ثم رجعا فسمعت عمي يقول لأبي: أهو هو؟ قال نعم والله، قال أتعرفه وتثبته ؟ قال نعم، قال فما فى نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت[1]، وهناك أمثلة

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٥٢/٣، الروض الأنف ٣١١/٤، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ٧٧/١، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ٢٤٠/١ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس (المتوفى: ٧٣٤هـ)، اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون ٢٤٠/٢ موسى بن راشد العازمي

كثيرة فى القرآن الكريم توضح الشُبه التى أثاروها والدحض الإلهي لها، من ذلك.

ثانيا : رد القرآن على اليهود

أ – عندما قالوا ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) ﴾ آل عمران: ١٨٣

ب– وعندما ادّعوا أنهم أولياء الله من دون الناس حكى الله ذلك ورد عليهم بقوله ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) ﴾ الجمعة: ٦ – ٧

ج – عندما ادعوا أنهم غير مكلفين إلا بما أنزله الله عليهم حكى الله ذلك ورد عليهم بقوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١) ﴾ البقرة: ٩١

ثالثا: رد القرآن على النصارى

أ – رد الله عليهم دعواهم بأن الله هو المسيح ابن مريم قال ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) ﴾ المائدة: ١٧

ب – ورد عليهم دعواهم أن الله ثالث ثلاثة فقال سبحانه ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾ المائدة: ٧٣

رابعا: رد القرآن على اليهود والنصارى معاً

١ – رد الله ﷻ عليهم دعواهم بأن دخول الجنة قاصر عليهم فقال سبحانه : ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) ﴾ البقرة: ١١١، ١١٢

٢ – ولما ادّعوا أنهم أبناء الله حكى الله ذلك ورد عليهم بقوله ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) ﴾ المائدة: ١٨

٣ – وعندما ادّعوا أن لا دين إلا دينهم وأن لا هدى إلا هداهم حكى الله ذلك وردّ عليهم فقال سبحانه ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) ﴾ البقرة: ١٣٥

فالشبهات السابقة والمطاعن وغيرها كثير منها جاء فى كتاب الله ﷻ على لسان المشركين واليهود والنصارى وقام الله بالرد عليهم ودحض شبهاتهم وبيان زيفها وبطلانها، بل ومما يدعو للعجب أن "من يستعرض تاريخ القرآن الكريم عبر الزمان والمكان يجد أن من بين خصائص هذا الكتاب التى تصل إلى حد الإعجاز أنه كلما اشتد الهجوم عليه من معارضيه ومنكريه ازداد تألقاً وقوة فحقائق القرآن الخالدة تدحض الزيف والافتراء وكل ما يثيره أعداء القرآن من شبهات إنه بحق كما أخبر الله ﷻ عنه ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) ﴾ فصلت: ٤٢

وتقوم آيات القرآن على إقناع العقل وطمأنينة القلب وفضح الزيف والافتراء حتى لا يبقى أمام المتمرد إلا أحد أمرين إما أن يؤمن عن بينة، وإما أن يكفر عن بينة، والقرآن وحده هو القادر على محاورة المتمرد، لأنه خطاب الخالق لخلقه وهو ﷻ أعلم بهم قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤)[1].

رزقنا الله الفهم لكتابه والزود والدفاع عن دينه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(١) موسوعة بيان الإسلام ١/٤٨، ٤٩.

المبحث الثاني
الشبه التي أثيرت حول المكي والمدني

إن أعداء الإسلام وخصومه كانوا ولا يزالون حريصون كل الحرص على التشكيك في القرآن الكريم وتصويب أنفاسهم السامة وسهامهم الطائشة إليه، وإثارة الشبه حوله وذلك لأن هذا الكتاب أعظم مقدسات الإسلام والمسلمين، وهو أيضاً قوام الدين الذي يعتمد عليه أتباعه، يريدون بذلك أن يفتنوا المسلمين ويزعزعوا عقيدتهم ويضعفوا ثقتهم بكتاب ربهم.

ولكن هؤلاء فعلوا ما فعلوا وأرادوا ما أرادوا متناسين أن هذا الكتاب مصدر عزة المسلمين لكونه معجزة الرسول الخالدة الباقية المتجددة التي لا ينال منها عبث العابثين ولا شبهات المضلين المغرضين لأنه كلام رب العالمين الذي وصفه بقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ النساء: ٨٢. ومن تلك السهام الطائشة والأنفاس السامة المطاعن الموجهة إلى القرآن الكريم وما أثاروه من شبهات حول المكي والمدني غرضهم منها إثبات أن القرآن الكريم ليس من عند الله وإنما هو من تأليف محمد تَقَوَّله وافتراه وأخذه من غيره وتأثُر محمد بمن أخذ عنهم وبالبيئات المختلفة التي عاش فيها ظهر أثر ذلك كله في القرآن الكريم ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) ﴾ (الكهف : ٥) .

سأتعرض في هذا المبحث بمشيئة الله تعالى لبعض الشبهة التي أثاروها، والمطاعن التي ادعوها والمزاعم التي افتروها، ثم أنقضها وأدحضها وأُسقطها بالحجج الدامغة والأدلة الواضحة مستعيناً بالله تعالى ومستمداً العون منه

المطلب الأول

دفع شبهة حول مغايرة الأسلوب بين القرآن المكي والمدني

ادعوا بأن القسم المكي يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة كالعنف والشدة والقسوة والحدة والغضب والسباب والوعيد والتهديد مثال ذلك: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥) ﴾ المسد: ١ – ٥

ومثاله أيضاً: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) ﴾ العصر: ١– ٢. وقوله: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾ الفجر: ١٣ – ١٤. وقوله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ﴾ التكاثر: ٥ – ٦.

أما القسم المدني فتلوح عليه أمارة الثقافة والاستنارة ويتسم بأنه هادئ لين وديع مسالم يقابل السوء بالحسنى، ويناقش الخصوم بالحجة الهادئة. وغرضهم من إيراد تلك الشبهة تشكيك المؤمنين فى كتاب ربهم وأنه ليس كلام الله وليس معجزا إنما هو كلام محمد الذي تأثر أولا بأهل مكة فكان كلامه خشنا بعيدا عن المعارف العالية التي اكتسبها من أهل الكتاب في المدينة. [١]

الرد على هذه الشبهة:

أقول: إن هذه الشبهة الواهية ساقطة من عدة وجوه بيانها فيما يلي:

أولاً: القول بأن القسم المكي يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة أو ينفرد بالعنف والشدة دعوى بغير دليل وعدول عن الحق لهوىً فى نفس القائل وحقد فى قلبه فالقرآن الكريم جميعه يمتاز بكل أنواع السمو والرفعة والوقار والجلال فهو إذا اشتد فعلى

(١) ينظر: نقض مطاعن في القرآن الكريم للشيخ محمد عرفة ص١٣ بتصرف وزيادة.

الفاسقين المفسدين يشتد وإذا لان فللصالحين الأخيار يلين وشدته ولينه في الوعد والوعيد وكلاهما لصالح النوع الإنساني ولا يعاب كتاب كالقرآن لذلك.

ثانياً: الدعوى بأن القسم المكي تفرد بالعنف والشدة أقول بأن هذه دعوى من لم يمعن النظر فى كتاب الله ﷻ لأن المكي لم ينفرد بالعنف والشدة ففي المدني كثير من الشدة والوعيد وإليك أمثلة توضح ذلك.

قال تعالى في سورة البقرة المدنية: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾ البقرة: ٢٤ وقال فيها أيضا: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ... (٢٧٥) ﴾ البقرة: ٢٧٥. وقال فيها أيضا: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) ﴾ البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩. فهذه آيات كلها شدة ووعيد .

وفي سورة آل عمران وهي مدنية أيضاً ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) ﴾ آل عمران: ١٠ – ١٢ وإنما اشتمل القرآن الكريم بقسميه المكي والمدني على الشدة والعنف لأن ضرورة التربية الرشيدة في إصلاح الأفراد والشعوب وسياسة الأمم والدول تقضي أن يمزج المصلح في قانون هدايته بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والشدة واللين.

ثالثاً: لم ينفرد القسم المدني باللين والصفح والسماحة بل فى السور المكية آيات كريمة تفيض لينا وصفحا وتقطر سماحة وعفوا بل تنادي بأن تقابل السيئة بالحسنة كما في قوله سبحانه في سورة فصلت المكية: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) ﴾ فصلت: ٣٣ – ٣٥. وكما في قوله في سورة الشورى المكية: ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) ﴾ الشورى: ٣٦ – ٤٠.

وكذلك قوله سبحانه في سورة الحجر المكية: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾ الحجر: ٨٧ – ٨٨ وإلى آخر السورة. ومثله قول الله جلت قدرته في سورة الزمر المكية: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ الزمر: ٥٣.

إذاً فليس ثمة دليل على أن القسم المكي انفرد بالشدة والعنف ففي المدني شدة وعنف أيضاً، كما أنه ليس ثمة دليل على أن القسم المدني قد انفرد باللين والموادعة والرقة، فإن فى آيات القسم المكي ما يفيض رقة وصفحاً ويقطر سماحة وعفواً كما سبق بيانه.

وعلى هذا ففي القسمين المكي والمدني الشدة والعنف والقسوة والغلظة وفيهما الرقة واللين والسماح والموادعة والصفح، ولكن ذلك لا يرجع إلى محمد ﷺ ولا إلى تأثره بالبيئة التى أقام فيها؛ لأن القرآن من عند الله ﷻ جاء ليؤثر فى البيئة لا ليتأثر بها، ولو كان القرآن من عند محمد لعارضه العرب عندما تحداهم به وطلب منهم أن يأتوا بمثله وصدق الله القائل ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ الإسراء: ٨٨ وإنما مرجع ذلك كله فى القرآن لرعاية حال المخاطبين فتارة يشتد وتارة يلين تبعاً لما يقتضيه حالهم وليس

هذا خروجاً عن سنن الحق وسبيل الحكمة بل هو اللائق بالعدالة الإلهية والحكمة الربانية والتربية الرشيدة وما أحسن قول القائل :

فقســا ليزدجــرواومــن يــك حازمــاً فلــيقْسُأحيانــاً علــى مــن يــرحم (١)

رابعاً: نسلم بغلبة أسلوب الشدة فى القسم المكي وأسلوب اللين فى القسم المدني لكن ذلك ليس راجعاً لمحمد ﷺ وتأثره بالبيئة وإنما مرجعه الحقيقي هو اختلاف حال المخاطبين فأهل مكة مردوا على العناد والسباب والأذى لرسول الله وأصحابه وأتباعه والكيد لهم حتى أخرجوهم من ديارهم بغير حق وسلبوهم أموالهم ودورهم واستمروا على إيذائهم للمسلمين حتى بعد هجرتهم للمدينة ومحاربتهم لهم، أما أهل المدينة فهم الذين آووا الرسول ومن معه ونصروا الإسلام وهم أيضاً أهل رقة وإحساس وهدى وصلاح فهل يعقل أن يخاطب المسرف فى العناد بنفس خطاب المهتدي الصالح "أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون" فالله ﷻ المحيط بكل شيء علماً يراعى حال المخاطبين وهذا هو مقتضى الحكمة من كلام رب العالمين العليم بما يصلح أحوال عباده وينفع معهم.

خامساً: أما زعمهم أن في القسم المكي سبابًا ويريدون من السباب معناه المعروف عندهم من البذاءة والخروج عن حدود الأدب واللياقة فقد ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) ﴾ الكهف: ٥. ونحن نتحداهم أن يأتوا بمثال واحد في القرآن كله مكيه ومدنيه يكون من هذا اللون القذر الرخيص. وهل يعقل أن القرآن الذي جاء يعلم الناس أصول الآداب يخرج هو عن أصول الآداب إلى السباب؟ كيف وقد حرم على أتباعه المسلمين أن يسبوا أعداءه المشركين؟ فقال في سورة الأنعام: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٩١/٧ شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) ط/ دار الكتب والوثائق القومية

عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨) ﴾ الأنعام: ١٠٨. نعم إن في القرآن كله لا في القسم المكي وحده تسفيها لأحلام المتنطعين الذين يصمون آذانهم ويغمضون أعينهم عن الحق ويهملون الحجج والبراهين وهو في ذلك شديد عنيف بيد أنه في شدته وعنفه لم يخرج عن جادة الأدب ولم يعدل عن سنن الحق ولم يصدف عن سبيل الحكمة. بل الحكمة تتقاضاه أن يشتد مع هؤلاء لأنهم يستحقون الشدة ومن مصلحتهم هم ومن الرحمة بهم والخير لهم أن يشتد عليهم ليرعووا عن باطلهم ويصيخوا إلى صوت الحق والرشد ويسيروا على هدى الدليل والحجة على حد قول القائل:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى [1]

أضف إلى ذلك أن هذا التفريع الحكيم تجده في السور المدنية كما تجده في السور المكية. وإن كان في المكي أكثر من المدني لأن أهل مكة كانوا أشداء العارضة صعاب المراس مسرفين في العناد والإباء لم يتركوا بابا من الشر إلا دخلوه على الرسول وأصحابه ولم يكفهم أن يخرج من بلده وأهله بليل بل وجهوا إليه الأذى في مهاجره.

سادساً : هذه السور والآيات التي ذكرها الطاعن ليس فيها رائحة سباب، ولو علم سبب النزول والمراد بالآيات لما رمى بهذه القولة الجائرة، وإليك ما ورد في سبب نزول سورة أبي لهب . أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) ﴾ الشعراء: ٢١٤ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي»، لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيّ» قالوا: نعم؛ ما جربنا

(١) أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه ص ١٢٢ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ط/ مكتبة الحسين التجارية

عليك إلا صدقا قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥) ﴾ [١] وأخرج ابن جرير: أن امرأة أبي لهب كانت تأتي بأغصان الشوك فتطرحها في طريق رسول الله ﷺ، وقيل كانت تنقل الحديث وتمشي بالنميمة بين الناس؛ قيل لها حمالة الحطب، لأنها كانت تحطب الكلام، وتمشي بالنميمة، وتعير رسول الله ﷺ بالفقر[٢] فالسورة إذا نزلت ردا على أبي لهب في دعائه على النبي، وإيذائه له، وإنذارا له ولزوجه بأنهما سيصليان النار الشديدة جزاء لهما على ما صنعا، ولا شك أن في هذا الوعيد ردعا لأبي لهب وزوجته وأمثالهما ممن يناهضون رسالات الرسل ويسعون في الأرض بالفساد ولا أدري في أي عرف أو ذوق يعتبر إنذار مثل هذا المعوق عن الخير والحق أمرا خارجا عن المألوف وسبابا وشدة وماذا كان ينتظر هذا الطاعن في الرد على أبي لهب وزوجته أكان ينتظر من منزل القرآن الحكيم أن يظهر له الرضا على مقالته ويقول له: بخ بخ فيزداد بطرًا وأشراً ! " فالسورة ليست سباباً، وإنما هى وعيد لأبى لهب وامرأته لصدهما عن الإسلام، وهذا الإنذار لخير العالم إذ من خير العالم ألا تقام العراقيل فى سبيل مرشديه إلى طريق الخير وهاديه إلى سواء السبيل ومجدديه كلما بلى وتعفن وطغت فيه الرذيلة على الفضيلة [٣].

وأما سورة «العصر» فليس فيها ما يشتم منه السباب، وليس فيها عنف ولا شدة وكل ما عرضت له السورة أن الناس قسمان:

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير /حديث رقم ٤٤٩٢.

(٢) تفسير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ٦٧٩/٢٤. ط/ مؤسسة الرسالة

(٣) نقض مطاعن فى القرآن ص ٤٦.

١ – قسم ناج من الخسران والعذاب فائز برضوان الله، وهم الذين جمعوا عناصر السعادة الأربعة؛ وهي الإيمان بالله، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

٢ – قسم غارق في الخسران، مآله إلى الهلاك والعذاب، وهم الذين لا يقرون بإله ولا يدينون بشريعة ولا يعملون صالحا: فهم جراثيم شرور، ولا يتواصون بحق؛ فالحق بينهم مضيع، ولا يتواصون بصبر؛ فهم في هلع وجزع، ومما لا يقضى منه العجب أن يستشهد هذا الناقد بهذه السورة التي أقر بكفايتها وغنائها الأئمة في القديم والحديث؛ قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده– رحمه الله–: ثم تراها لم تدع شيئا إلا أحرزته في عباراتها الموجزة، حتى قال الإمام الشافعي– رحمه الله–: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم! (١) أو قال: لو لم ينزل الله من القرآن سواها كفت. وقال غيره: إنها شملت جميع علوم القرآن. (٢) الناس ولجلالة ما جمعت روي أنه كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذ التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة «والعصر» ثم يسلم أحدهما على الآخر؛ ذلك ليذكّر كل منهما صاحبه بما يجب أن يكون عليه فإذا رأى منه شيئا ينبغي أن ينبه إليه فعليه أن يذكره له (٣). وما أحسن ما قاله الأستاذ الشيخ محمد عرفة: لو قُدِّر أن يبيد هذا العالم وما فيه من علم وأدب وحكمة ونشأ جيل جديد لم يرثٍ شيئا من علم الأولين وأخلاقهم ولكنه بقى له سورة والعصر لكان فيها سداداً من عوز وعوض عن الجميع، ولجاز أن تكون مادة إصلاح يحيا عليها ذلك الجيل الجديد ويجد فيها

(١) تفسير ابن كثير ٤٥٦/٨.

(٢) التحرير والتنوير ٥٢٨/٣٠ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ط/الدار التونسية للنشر

(٣) تفسير القرآن العظيم «جزء عم» ص ١٥٤ عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم العاصمي ط/: دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية

أصول الفضائل العلمية والعملية [١].

وهذه السورة من أجلِّ سور القرآن العظيمِ وأوجزها لفظًا وأكثرها معنًى وحكمة وبيان، وفي هذه السورة أعظم دلالة على إعجاز القرآن، ألا ترى أنها مع قلة حروفها تدل على جميع ما يحتاج إليه الناس في الدين علمًا وعملًا، وفي وجوب التواصي بالحق والصبر إشارة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما قوله تعالى في سورة الفجر ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾ الفجر١٣:١٤ فلا سباب فيه ولا عنف وكل ما فيه إخبار من الحق عز شأنه، بأن عادا وثمود وفرعون لما طغوا في البلاد وظلموا العباد وأكثروا من الفساد أنزل الله بهم العقاب جزاء لهم على ظلمهم وإفسادهم، فالمراد بصب السوط إنزال العقوبة الشديدة بهم، وهو من المجازات البديعة، ومعنى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾ أنه القائم بتدبير الأمور الرقيب على عباده لا يفوته من شئونهم شيء وهو مجازي كل عامل بعمله فلا يفلت منه أحد، فلا يظن أهل الطغيان الذين يفسدون في الأرض أن يفلتوا من الله وعقابه، وفي هذا الإخبار تحذير للموجودين والمخاطبين أن يفعلوا مثل ما فعلوا فيعاقبوا مثل ما عوقبوا، فانظر– أيها القارئ الفطن– كيف اشتملت هاتان الآيتان على وجازتهما على هذه المعاني الثرية والتحذيرات النافعة المفيدة.

وأما سورة ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) ﴾ فغاية ما فيها أن يترك الناس التفاخر بالأحساب والأنساب والتكاثر بالأموال والأولاد والتلهي بما لا يفيد وأن يقبلوا على الاشتغال بما ينفع من الإيمان والعمل الصالح، أما التلهي بالتكاثر والتفاخر فلن يكون من ورائه إلا خسران الدنيا والآخرة، فلا عجب أن يردعهم الله، وأن يكرر الردع والزجر فقال:﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) ﴾ التكاثر: ٣ – ٤ ولو علم اللاهون المتكاثرون علم اليقين لأعرضوا عما فيهم، وأقبلوا على الأعمال الصالحة؛ لأنهم

(١) نقض مطاعن فى القرآن ص ٤٩.

سيرجعون إليه في يوم يحاسبون فيه ويجازون على أعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) ﴾ التكاثر: ٥ – ٨، فالسورة لا تخرج عن كونها وعيدا وتحذيرا وإرشادا وتعليما. [١]

(١) المدخل لأبي شهبة ص ٢٣٥.

المطلب الثاني

دفع شبهة حول قصر الآيات والسور المكية ،وطول الآيات والسور المدنية.

قالوا: إن القسم المكي يمتاز بتقطع الفكرة، واقتضاب المعاني، وقصر السور وقصر الآيات، وأما القسم المدني فهو طويل السور طويل الآيات وأفكاره منسجمة متسلسلة، وعزوا ذلك إلى تأثر محمد ﷺ بالبيئة؛ فأهل مكة قوم أميون لا يقدرون على إنشاء العبارات الطويلة، أما أهل المدينة فهم أهل كتاب أو متصلون بأهل الكتاب لهم قدرة على إنشاء العبارات الطويلة، وذلك يدل على انقطاع الصلة بين القسم المكي والقسم المدني وغرضهم التشكيك في أن القرآن من عند الله سبحانه.

الرد على هذه الشبهة:

هذه شبهة واهية يكذبها الواقع وتدحضها الحقائق وهى منتقضة بما يأتي:

أولاً: قولهم بأن القسم المكي قصير السور والآيات وأن القسم المدني بخلافه طويل السور والآيات، إن كانوا يريدون بذلك جميع المكي والمدني فالواقع يكذب ذلك لأن فى القسم المكي سوراً طويلة أمثال الأنعام والأعراف وهما من السبع الطوال وفى القسم المدني سوراً قصيرة كالزلزلة والنصر.

وإن كانوا يقصدون أن معظم السور المكنية قصيرة وأن أكثر السور المدنية طويل فهذا مُسلَّم به لكن ليس الأمر فيه كما يدَّعون من أن قصر المكي سببه أن أهل مكة أميون متخلفون وأن المدني جاء طويلاً لأن أهل مكة متحضرون مستنيرون، فالحقيقة التي لا يماري فيها إلا مخادع مضلل ولا ينكرها إلا كاذب أن أهل مكة كانوا أقدر العرب على الكلام فالبيان صنعتهم والبلاغة حرفتهم وقد كانوا يقيمون المجامع وينظمون المحافل فى أسواق عكاظ وذي المجاز من أجل ذلك حيث يتبارى الشعراء ويتسابق الخطباء.

ثانياً: أن طول الكلام وقصره تبعاً لمقتضى الحال الذي هو عماد البلاغة وليس تابعاً للبيئة ولا الوسط فطول الآيات وقصرها منوط بموضوعها ولا دخل فيها لمكان

نزولها فالآيات أو السور التى يراد بها الوعظ والزجر يحسن فيها أن تكون أقصر من آيات الأحكام وهى تكثر فى القسم المكي لأنه هو المناسب لحال المخاطبين، من المشركين والمعاندين، كما تكثر الأحكام التفصيلية فى السور المدنية لأن الخطاب فيها للمؤمنين المكلفين. (١)

ثالثاً: القرآن الكريم قد تحدى العرب قاطبة في بعض السور المدنية كما تحداهم في السور المكية، وقد جاء التحدي في المدينة بسورة مهما قصرت وأما في مكة فقد وقع التحدي بالقرآن كله ثم بعشر سور منه ثم بسورة واحدة أية سورة، فلو أن أهل المدينة– كما زعم الناقد– كانوا أقدر على إنشاء العبارات الطويلة من أهل مكة، وأن القرآن كان متأثرا بهم في الإطالة لكانوا أقدر على معارضته والإتيان ولو بأقصر سورة منه، ولكنهم لم ينبسوا ببنت شفة، ورضوا لأنفسهم السكوت وباءوا بالعجز، بل عجزهم أشد من عجز أهل مكة، ثم من تسول له نفسه أن يفضل أهل المدينة على أهل مكة في البلاغة والفصاحة والتصرف في فنون القول والقدرة على إنشاء العبارات! والمعروف أن قريشا كانت أوسط العرب دارا وأبرعهم في الخطابة والشعر والتفنن في الأساليب وإليها كان يحتكم العرب في شعرهم ونثرهم، وقد ساعدها على هذا اجتماع العرب في مواسم الحج وغيرها.

رابعاً: القول بأن القسم المكي يمتاز بتقطع الفكرة واقتضاب المعاني بخلاف القسم المدني قول من لم يتمعن فى القرآن ولم يعن بدراسته يقول العلامة الشيخ رشيد رضا: – إن الذي يقرأ القرآن ولا يتدبره ولا يكلف نفسه الصبر لمعرفة أغراضه هو الذي لا يستبين كثيراً منها فيبدوا له متقطع الفكرة مقتضب المعاني ولكن الذي يتدبره وينعم النظر فيه ويقرؤه على سبيل الاعتبار ويكون مع ذلك قد أوتي طبعاً سليماً ودُرْبَة على معرفة منطق العرب الذين يكتفون باللمحة والوحي السريع يدرك كثيراً من أغراضه

(١) مقدمة كتاب نقض مطاعن فى القرآن بقلم الشيخ محمد رشيد رضا ص١٧..

ويبدوا له قصده فيرى الآيات الكثيرة فى غرض واحد كالحلقة المفرغة مرتبطة بعضها ببعض أتم ارتباط حتى إن السورة الواحدة الطويلة قد تكون فى غرض واحد يشملها ويعمها [١].

خامساً: اهتم العلماء الذين أتاهم الله فهماً فى كتابه وتبياناً لأسرار إعجازه ببحث المناسبات بين الآيات والسور فالقرآن كله على الرغم من نزوله منجماً إلا أنه يأخذ بعضه بحجز بعض كأنه سلسلة متصلة الحلقات أو عقد منتظم الحبات ومن لديه معرفة بالعربية وآدابها والبلاغة وفنونها يدرك ما عليه كتاب الله من بديع التنظيم وجمال التنسيق فهذا الروض الرباني اليانع القرآن الكريم يقوم بين جمله وآيه وسوره تناسب بارع وارتباط محكم وائتلاف بديع ينتهي إلى حد الإعجاز خصوصاً إذا لاحظنا نزوله منجما على السنين والشهور والأيام.

قال الشيخ ولي الدين الملوي: قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا. فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة. ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم. وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له[٢].

وقال الإمام فخر الدين الرازي فى تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في

---

(١) نقض مطاعن فى القرآن للشيخ محمد عرفة ص٥٩ وما بعدها، وقد مثّل الشيخ لكلامه بسورة الأنعام المكية فقال: مقدارها ١٦٥ آية وقد انتظمها غرض واحد وهو إبطال الشرك، فتقرؤها جميعها فتجدها فى هذا الغرض وما سيق فيها فهو لهذه الغاية ثم أخذ يوضح ذلك من خلال آيات السورة الكريمة أ.ه

(٢) الإتقان ٢/ ٢٨٨.

الترتيبات والروابط [١] وقال أيضاً في تفسيره لسورة البقرة ما نصه:

ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو معجز أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته. ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار [٢]

أقــول:

ما ذكره الشيخ محمد عرفة في كتابه نقض مطاعن في القرآن الكريم فطن له أفذاذ العلماء منذ القدم لذا كانت لهم عناية خاصة فى كشف اللثام عن ترابط وإحكام الصلة بين أجزاء كل سورة من سور القرآن، ومن هؤلاء الإمام الرازي فى تفسيره والإمام البقاعي فى نظم الدرر فى تناسب الآي والسور، وفى العصر الحديث الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه النبأ العظيم الذى حلَّل فيه سورة البقرة مع طولها وأظهر كمال الاتساق بين أجزائها وما فيها من وحدة موضوعية، وما زالت جهود الباحثين مستمرة لإبراز هذا الجانب من جوانب إعجاز القرآن للتأكيد على أنه تنزيل من لدن حكيم خبير ، وليس من كلام محمد ﷺ أو من كلام البشر كما يدَّعون.

(١) مفاتيح الغيب ١١٠/١٠.

(٢) مفاتيح الغيب ١٠٦/٧.

المطلب الثالث

دفع شبهة القول بخلو المكي من المنطق والبرهان في مناقشة الخصوم بخلاف المدني

قالوا: «إن القسم المكي يمتاز بالهروب من المناقشة، وبالخلو من المنطق والبراهين، فيقول: ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) ﴾ الكافرون: ١ – ٦. بخلاف القسم المدني فهو يناقش الخصوم بالحجة الهادئة والبرهان الساكن الرزين فيقول: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء: ٢٢.

الرد على هذه الشبهة:

وهذا الكلام منقوض بما يأتي :

أولاً : أنه لا يجرؤ على هذه المقالة إلا أحد رجلين: إما جاهل أغرق في جهله فلا يكاد يميز بين المكي والمدني، وإما ضال أعماه هواه عن إدراك الحق الظاهر، وقد سقط هذا القائل والناقد الطاعن سقطة لا إقالة له منها، ولا يكاد يقع فيها الطلاب المبتدءون، فضلا عن الباحثين؛ فإن سورة الأنبياء مكية وآياتها ١١٢، فسورة الأنبياء مكية بلا استثناء عند جمهور العلماء، وباستثناء آية ﴿ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها ﴾ عند البعض[1]، ومهما يكن من شيء فالآية التي استدل بها مكية بالإجماع.

ثانياً : البراهين المبثوثة فى القسم المكي تدل على أن القسم المكي لم يكن يهرب من المساجلة، وإنما كان يقتحمها وما كان يولى الأدبار بل كان يقدم على الخصوم إقدام الواثق بقوته، المؤمن بحجته، المطمئن إلى عزة الحق وفوز اليقين، نعم نسلم بأن القسم المدني فيه برهان ومنطق، كذلك المكي حافل بالأدلة والبراهين وأعظم الحجج على عقيدة الإسلام في الإلهيات والنبوات والسمعيات وسأسوق بعضاً من هذه الحجج :–

(١) ينظر: البرهان للزركشى النوع التاسع، الإتقان للسيوطى النوع الأول.

١- قال تعالى في سورة المؤمنون المكية وهو يرفع قواعد التوحيد ويزلزل بنيان الشرك إذ يقول: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) ﴾ المؤمنون: ٩١.

٢- ويقول في سورة الأنبياء المكية: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤)﴾ الأنبياء: ٢٢ – ٢٤.

٣- ويقول مدللاً على نبوة محمد ﷺ في سورة العنكبوت المكية: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) ﴾ العنكبوت: ٤٨ – ٥١.

٤- وفى بيان حجته التي أقامها لتقرير اقتداره على البعث بعد الموت يقول سبحانه في سورة ق المكية: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١) ﴾ ق: ٩ – ١١ وقوله فيها أيضا: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥) ﴾ ق: ١٥.

٥- وفى إقامة الدليل العقلي على البعث والجزاء في سورة المؤمنون المكية يقول: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) ﴾ المؤمنون: ١١٥

وفي سورة السجدة إذ يقول: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١)﴾ السجدة: ١٨ – ٢١، وفي سورة الجاثية المكية إذ يقول: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢) ﴾ الجاثية ٢١–٢٢

٦– وفى مناقشته ونقضه بالحجة أوهام المشركين في احتجاجهم لأباطيلهم بالمشيئة الإلهية إذ يقول في سورة الأنعام المكية: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) ﴾ الأنعام ١٤٨–١٤٩

٧– وفى إقامة الحجة على البعث يقول سبحانه فى سورة يس المكية ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(٨٣) ﴾ يس: ٧٧ – ٨٣.

٨- وفى الحض على النظر فى الطبيعة والتأمل فى عجائب المخلوقات ليتوصل من ذلك إلى معرفة المبدع الأول يقول سبحانه فى سورة الغاشية المكية ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦) ﴾ الغاشية: ١٧ – ٢٦. فهذه الآيات وغيرها كثير أدلة ساطعة وبراهين بارعة لا تكاد تخلو منها سورة من السور المكية. ولكن القوم استحبوا العمى على الهدى فاستمروا على هذا الكذب والافتراء. نسأل الله أن يكفينا شر الفتنة وأن يثبتنا على الحق فإن قلوب الخلق بيديه والأمر كله منه وإليه. ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٩) ﴾ الأنعام: ٣٩.

ثالثاً: وأما سورة الكافرون التي استدل بها على هروب القسم المكي من المناقشة فليس يأخذ أحد منها الهروب من المناقشة فقد ذكر المفسرون فى سبب نزولها أن كفار قريش طلبوا من محمـــد ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا هم إلهه سنة. فنزل ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) ﴾ [(١)] تيئيساً لهم وسدًا لطمعهم أن يلين محمد أو يعترف بعبادة ما كانوا يشركون، وإذا لم يطلع المرء على سبب هذا النزول فلا يمكنه أن يفهم من الآيات الهروب من المناقشة لأنه فى

(١) ينظر: تفسير الطبرى ٦٦٢/٢٤، لباب النقول صـــ ٢٣٦. المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل الناشر : دار إحياء العلوم – بيروت

كل الآيات قد أقام عليهم الحجج وأخذ بمخانقهم وسد عليهم كل باب وأسال عليهم الوادي عجزاً ثم جاء فى هذه الآية فقال "لكم دينكم ولي دين " كما يقول القائل لمن أقام هو عليه الحجة قد أقمت الدليل ووضحت السبيل ولك بعد ما تختاره لك ما تريد ولي ما أريد تبكيتاً للخصم[١].

(١) ينظر: نقض مطاعن فى القرآن صـــ ٤٢.

المطلب الرابع

دفع شبهة القول بخلو المكي من التشريعات والأحكام العملية بخلاف المدني

قالوا: إن القسم المكي خلا من التشريعات التفصيلية والأحكام العملية، بخلاف القسم المدني فإنه حافل بالتشريعات والأحكام؛ كالمواريث والوصايا، والزواج، والطلاق، والبيوع، وسائر المعاملات، بل وكافة آداب الاجتماع والأخلاق، وذلك يدل على تأثر محمد بالوسط الذي يعيش فيه فهو حين كان بمكة بين الأميين جاء قرآنه المكي خاليا من العلوم والمعارف ولما عاش فى المدينة بين أهل الكتاب المثقفين جاء قرآنه المدني مليئا بتلك العلوم والمعارف العالية.

الرد على هذه الشبهة :

أولاً: أن القسم المكي فى جملته غير خال من التشريع والأحكام بل عرض لها وجاء عليها ولكن بطريقة إجمالية من ذلك ما نقرؤه فى سورة الأنعام المكية قولـــه تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ الأنعام: ١٥١ – ١٥٣، فهذه الآيات الثلاث جمعت الوصايا العشر التى جمعت بطريقة إجمالية أصول الشرائع السماوية كلها ومقاصد الدين الخمسة وهى: ١– الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. ٢ – حفظ النفس. ٣ – حفظ العقل. ٤ – حفظ النسل. ٥ – حفظ المال.

وفى المكي من الأحكام ما عالج به مساوئ القوم سواء أكانت خلقية أم اجتماعية من ذلك ما نقرؤه فى سورة الإسراء من قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ﴾ الإسراء: ٣١ – ٣٨.

وما نقرؤه فى سورة لقمان فيما يحكى القرآن من وصية لقمان لابنه ﴿ يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩ ﴾ لقمان: ١٧ – ١٩، ومن ذلك أيضاً ما جاء فى سورة المعارج من حث المؤمنين على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحفظ الفروج وأداء الأمانات وغير ذلك مما جاء فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ

(٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣٥) ﴾ المعارج: ١٩ – ٣٥.

ثانياً: إن كثرة التشريعات فى القسم المدنى من القرآن ليست وليدة البيئة كما يدعى المشككون فى القرآن بل لأن المكى ركز على الأصول واهتم بتصحيح العقائد أولاً، أما القسم المدنى فعنى بالتشريعات الفرعية وهى عملية طبيعية فليس من المعقول أن تظهر الأغصان والفروع فى وقت واحد من جذوع الشجر وجذوره ولا أن توجد الثمار قبل الأغصان، ومرجع ذلك إلى الحكمة، والتدرج فى سياسة الأمم بعيداً عن التسرع والطفرة لأن مصيرهما البوار ونهايتهما الخسران وقد نزل القرآن والناس منغمسون فى الغى والضلال من عبادة أصنام وشرك بالله وإنكار للبعث واليوم الآخر مع شيوع الفواحش والموبقات فكان من الحكمة تجاه هذه المساوئ تقديم الأهم من التشريعات حتى تعالج الموبقات بما يصلحها وهذا أمر بدهى أن يخاطب الناس فى عقائدهم حتى إذا خلصهم من عقائد الشرك والوثنية ومن ثَمَّ أصبحوا مؤمنين قادهم إلى التكليف ففصَّل لهم التشريع وأوجب عليهم العمل بالحلال والحرام وهذا ما صورته أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها– قالت: إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الْحَلاَلُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لاَ تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لاَ نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لاَ تَزْنُوا لَقَالُوا لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا (١)

وما أروع ما كتب العلامة الزرقانى عن حكمة التدرج فى التشريع قال–رحمه الله–: إن كثرة التفاصيل في تشريع الأحكام بالمدينة ليس نتيجة لما زعموه، إنما هو أمر لا بد منه في سياسة الأمم وتربية الشعوب وهداية الخلق. ذلك أن الطفرة حليفة الخيبة والفشل والتدرج حليف التوفيق والنجاح وتقديم الأهم على المهم واجب في نظر الحكمة. لهذا بدأ الله عباده في مكة بما هو أهم: بدأهم بإصلاح القلوب وتطهيرها من الشرك والوثنية وتقويمها بعقائد الإيمان الصحيح والتوحيد الواضح حتى إذا استقاموا

(١) أخرجه البخاري فى صحيحة كتاب فضائل القرآن /حديث رقم ٤٧٠٧.

على هذا المبدأ القويم وشعروا بمسؤولية البعث والجزاء وتقررت فيهم هذه العقائد الراشدة فطمهم عن أقبح العادات وأرذل الأخلاق وقادهم إلى أصول الآداب وفضائل العادات ثم كلفهم ما لا بد منه من أمهات العبادات. وهذا ما كان في مكة. ولما مرنوا على ذلك وتهيأت نفوسهم للترقي والكمال بتطاول الأيام والسنين وكانوا وقتئذ قد هاجروا إلى المدينة جاءهم بتفاصيل التشريع والأحكام وأتم عليهم نعمته ببيان دقائق الدين وقوانين الإسلام.

نظير ذلك ما تواضع عليه الناس قديما وحديثا في سياسة التعليم من أنهم يلقنون البادئين في مراحل التعليم الأولى أخف المسائل وأوجزها فيما يشبه قصار السور ومختصر القصص حتى إذا تقدمت بهم السن وعظم الاستعداد تلاطم بحر التعليم وزاد على حد قولهم: الإمداد على قدر الاستعداد [1].

ثالثاً: ما زعموه من تأثر محمد-ﷺ- بأهل الكتاب فى المدينة وأخذه عنهم فرية باطلة تدحضها الحقائق، فالقرآن المنزل من عند الله حاشاه أن يتأثر بأهل الكتاب وما عندهم من علم لأنه المهيمن على ما سبقه من الكتب السماوية والحاكم عليها، والقرآن فى غير موضع نعى على أهل الكتاب كفرهم وفسقهم وجراءتهم على الله وهنا يتطرق للأذهان سؤال: هل كان القرآن يحترم أهل الكتاب ويراهم مثلاً أعلى فى العلم والمنطق والدين والأخلاق حتى يقتبس منهم ويقلدهم ويعجب بثقافتهم ؟ أم هو يراهم وخاصة اليهود الذين كانوا يجاورونه مثلاً أدنى من أسوأ الأمثال فى العلم والخلق والدين، وينظر إليهم كما ينظر المعلم إلى تلاميذه الذين هم بحاجة إلى أن يتثقفوا منه؟

السؤال السابق ذكره العلامة الشيخ محمد عرفة وأجاب عنه قائلاً : إننا إن درسنا القرآن وجدناه ينظر إليهم النظرة الثانية، فليس يعجبه منهم خلق ولا دين، فعاب القرآن على اليهود تحريف شريعتهم وكتمانهم العلم فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ

(١) مناهل العرفان ٢١٩/١.

وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧) ﴾ آل عمران: ٧٧.

وقال أيضا: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ﴾ البقرة: ٧٥، وقال: ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) ﴾ المائدة: ٤١ – ٤٢، وعاب القرآن اليهود بفقد الأمانة واستحلال الخيانة والكذب على الله فكان يعيبهم أنهم فقدوا الأمانة وزعموا أن الله أحل لهم خيانة الأُمِّيِّين –كذبوا فليس الله يحل الفحشاء والمنكر– فقال ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦) ﴾ آل عمران: ٧٥ – ٧٦، كما عابهم بخلق الحسد الذى هو أس الرذائل وجماع القبائح والذى حملهم أن يقولوا لعابدي الوثن أنتم أهدى من أتباع محمد قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤) ﴾ النساء: ٥١ – ٥٤، كما عابهم بترك الأمر بالمعروف

والنهى عن المنكر وأكلهم السحت، وعابهم أنهم لم يعرفوا جلال الله وكماله، ولم يتزهوه عن النقص والعيوب قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤) ﴾ المائدة: ٦٤.

وقال أيضاً ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) ﴾ المائدة: ٧٨ – ٨١، وقال: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣) ﴾ المائدة: ٦٢ – ٦٣، كما عابهم أنهم قد أوتوا علماً لم يعلموه ولم ينتفعوا به فقال ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) ﴾ الجمعة: ٥، فمن كل ما سبق تأكد أن موقف القرآن من اليهود وغيرهم موقف المعلم لا المتعلم[١]

رابعاً: أن ما زعموه لو كان صحيحا لظهر أثر أهل الكتاب المدنيين فيمن معهم من عرب أهل المدينة وفيمن حولهم من أهل مكة وآفاق الجزيرة ولكانوا هم الأحرياء بهذه النبوة والرسالة ولسبق محمدا إليها كثير غيره من فصحاء العرب وتجار قريش الذين كانوا يختلطون بأهل الكتاب في المدينة والشام أيما اختلاط. كما أن القرآن تحدى الكافة

(١) نقض مطاعن فى القرآن الكريم ص ٧١ بتصرف.

من مكيين ومدنيين بل من جن وإنس فهلا كان أساتذته أولئك يستطيعون أن يجاروه ولو في مقدار سورة قصيرة واحدة يا لها فرية ثم يا لها صفاقة.(١)

هـــذا كـــلام لـــه خبـــئ معنـــاه ليســـت لنـــا عقـــول (٢)

(١) مناهل العرفان ١/٢٢٠.

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١/١٣٩ ، المؤلف: عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـ) ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: عالم الكتب – بيروت

المطلب الخامس

دفع شبهة حول التشكيك في القرآن وإثبات أنه تأثر بالوسط الذي وجد فيه

يقولون: إن القسم المكي يكثر فيه القسم بأشياء هى لصيقة بالبيئات البدائية والأوساط الساذجة كقسمه بالضحى والليل والتين والزيتون وطور سينين وكثير من المخلوقات. ولا ريب أن القسم بالأشياء الحسية يدل على تأثر القرآن بالبيئة في مكة لأن القوم فيها كانوا أميين لا تعدو مداركهم حدود الحسيات. أما بعد الهجرة واتصال محمد بأهل المدينة وهم قوم مثقفون مستنيرون، فقد تأثر القرآن بهذا الوسط الراقي الجديد وخلا من تلك الأيمان الحسية الدالة على البساطة والسذاجة. وغرضهم من هذا الادعاء التشكيك في القرآن وإثبات أن القرآن تأثر بالبيئة والوسط الذي وجد فيه، والتأكيد على أنه من عند محمد وليس من عند الله تعالى.

قبل نقض هذه الشبهة أقول: المستشرقون وأتباعهم يحاولون دائماً وصف أهل مكة بالسذاجة والتأخر ووصف أهل المدينة بالعلم والاستنارة وذلك بسبب مخالطتهم لليهود الذين يصفون أنفسهم ويصفهم أتباعهم بأنهم أهل العلم والذكاء والاصطفاء من الله تعالى مع أنهم على غير هذا وبشهادة الواقع والتاريخ وبوصف القرآن لهم – وهو أصدق شاهد– أنهم أهل الضلال والفسق والعصيان وأنهم حرفوا وبدلوا وغيروا ما أنزل الله.

الرد على هذه الشبهة

أولاً: الادعاء أن البيئة المكية ساذجة جاهلة لا ترقى إلى ما وراء الحس، دعوى لم يقم عليها دليل، ويكذبها الواقع، والتاريخ الصحيح؛ فقد كان أهل مكة أوفى ذوقا، وأرهف شعورا، وأذكى عقولا من أهل المدينة، وأن فيما قصه القرآن عنهم من مجالات وخصومات وما اشتمل عليه القسم المكي من إيجاز وبراهين ما ينقض هذا الاتهام، وكيف يفهم هذه البراهين من لا يسمو نظره عن المحسوسات، والتاريخ الصحيح أعدل حاكم وخير شاهد على امتياز قريش عن سائر القبائل في عهد نزول القرآن، لما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ قال ابن الزبعرى : والله لو وجدت

محمدا لخصمته قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى ابن مريم، كل هؤلاء في النار مع آلهتنا فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له: إنهم إنما يعبدون الشيطان، ومن أمرهم بعبادته، فأنزل الله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) ﴾ الأنبياء: ١٠١. وأنزل الله أيضا: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقالُوا أَآلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) ﴾ الزخرف٥٧ –٥٨ [1].

وتأمل في قوله سبحانه خَصِمُونَ وهل يجيد الجدل الجاهل الساذج وهل من يلقي هذه الشبه ولو كانت بواطل يكون ساذجا لا يسمو تفكيره إلى المعقولات، وكانت العرب وأولهم أهل مكة أشد الأمم جدلاً، وأحدهم مقولاً، كما وصفهم الله بقوله: ﴿ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) ﴾ وكذلك سماهم: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧) ﴾ مريم: ٩٧.

ثانياً : أن القسم في القرآن بالأشياء الحسية لا يرجع إلى سذاجة أهل مكة وانحطاطهم، وتأخرهم كما يدعى هؤلاء المفترون الخراصون بل مرجعه ومنشؤه رعاية مقتضى الحال فيما سبق القسم لأجله وذلك أن القرآن كان بصدد علاج أفحش العقائد فيهم وهي عقيدة الشرك. ولا سبيل إلى استئصال هذه العقيدة وإقامة صرح التوحيد على أنقاضها إلا بلفت عقولهم إلى ما في الكون من شؤون الله وخلق الله وإلا بفتح عيونهم على طائفة كبيرة من نعم الخلق المحيطة بهم ليصلوا من وراء ذلك إلى أن يؤمنوا بالله وحده ما دام هو الخالق وحده لأنه لا يستحق العبادة عقلا إلا من كان له أثر الخلق في العالم فعلا {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧)} النحل: ١٧.

---

(١) تفسير البغوى ٣٥٧/٥ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) دار طيبة للنشر والتوزيع، تفسير ابن كثير ٣٣٣/٥ ط/ دار الكتب العلمية، روح المعاني ٩٣/١٣. المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٣٤٥

فعرض بعض المخلوقات على أنظار الجاحدين بالتوحيد بعد إقرارهم أن ليس لها خالق إلا الله إلزام لهم بطرح الشرك وتوحيد الخالق. وهذا مطمح نبيل أجاد القرآن في أساليب عرض نعم الله عليهم من أجله وكان في إجادته هذه موفيا على الغاية وأصلا إلى قمة الإعجاب كعادته متفننا في ذكر النعم منوعا في سردها وبيانها فمرة يحدث عن خلق السماء ومرة عن خلق الأرض وثالثة عن أنفسهم ورابعة عن أنواع الحيوان والنبات والجماد وهلم جرا. وتارة يختار القرآن في عرضه طريقة السرد والشرح، وتارة يختار طريقة الحلف والقسم لأن في الحلف والقسم معنى العظمة التي أودعها الله في هذه النعم دالة على توحيده وعظمته حتى صح أن يدور القسم عليها وأن يجيء الحلف بها. والمصاب بداء الشرك لا سبيل إلى إنقاذه منه إلا بمثل هذه الطريقة المثلى التي سلكها القرآن بعرض دلائل التوحيد من آيات الله في الآفاق على أنظار المشركين وهذا سبيل متعين في خطاب كل مشرك فحلف القرآن بأمثال هذه المخلوقات والحسيات ليس دالا على سذاجة المخاطبين وانحطاطهم وليس بالتالي سبيلاً إلى الطعن في القرآن بأنه كلام محمد المتأثر بانحطاط البيئة المكية كما يرجفون: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧) ﴾ ص ٧.

ثالثاً: الادعاء بأن القسم بالمحسوسات فى القسم المكى يدل على التأثر بالبيئة الأمية التى لا تدرك إلا المحسوس منقوض بأن القسم المكى كما أقسم بالمحسوس أقسم أيضاً بالمعنوى المعقول، من ذلك على سبيل المثال:

١- قسمه -تعالى وتقدس- بذاته فى قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾ الحجر: ٩٢ - ٩٣، وقوله: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) ﴾ المعارج: ٤٠.

٢- وقسمه ﷻ بالقرآن في قوله: ﴿ يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) ﴾ يس: ١ - ٢.

٣- وقسمه ﷻ بالملائكة في قوله: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) ﴾ النازعات : ١ - ٥.

٤- وقسمه ﷻ بالنفس البشرية فى قوله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) ﴾ الشمس: ٧ – ٨.

٥- وقسمه ﷻ بحياة الرسول ﷺ في قوله: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) ﴾ الحجر: ٧٢.

٦- وقسمه ﷻ بالوقت والزمان فى قوله: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ العصر: ١ – ٣.

٧- وقسمه ﷻ بما لا يقع تحت الحس والمشاهدة فقال: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) ﴾ : الحاقة ٣٨ – ٣٩. الحاقة

بل إن فى القسم المكى الجمع بين المحسوس والمعقول فى آن واحد وذلك فى قوله ﷻ: ﴿ وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) ﴾ الطور: ١ – ٧، فالقرآن المكي كما ورد فيه القسم بالمحسوسات جاء فيه أيضاً القسم بالمعنويات، وذلك لينبه الله خلقه إلى مدى إنعامه عليهم بتلك الأقسام كلها حسيها ومعنويها فيرعووا عن شركهم بتلك الآلهة المزيفة التي لا تملك ضرا ولا نفعا وليس لها أي شأن في هذا الخلق، ويثوبوا إلى رشدهم، ويؤمنوا بربهم، ويتيقنوا أنه المستحق للعبادة، ويتبعوا رسوله الذى أرسل.

رابعاً: إن فى القسم بهذه المحسوسات شهادة بتفوق المكيين على من سواهم فى البلاغة والفصاحة وليس دلالة على انحطاطهم كما يتَقَوَّل المفترون بل إشارة إلى الأسرار العظيمة التى أودعها الله فيها، يقول الشيخ الزرقانى –رحمه الله– إن في مضامين تلك الأقسام بالحسيات أسرارا تنأى بها عن السذاجة والبساطة وتشهد ببراعة المخاطبين بها وتفوقهم في الفهم والذكاء والفصاحة والبيان. ذلك أن القسم بها إشارة إلى الأسرار العظيمة التي وضعها الله في تلك الأمور التي أقسم بها. حتى صح أن يكون مقسما بها.

وتلك الأسرار لا يدركها إلا اللبيب لأنها غير مشروحة ولا مفسرة في القرآن الكريم فلا يفهمها إلا من كمل عقله وسلم ذوقه. ولنشرح لك بعض الأسرار ليتبين الحال ولا يبق للشبهة مجال.

المثال الأول: أقسم الله ﷻ بالضحى والليل في قوله: ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) ﴾ الضحى: ١ – ٥، وسبب نزول هذه الآيات: أن النبي ﷺ فتر عنه الوحي مرة لا يترل بقرآن فرماه أعداؤه بأن ربه ودعه وقلاه أي تركه وأبغضه فترلت هذه الآيات مصدرة بهذا القسم مشيرة إلى أن ما كان من سطوع الوحي على قلبه ﷺ بمترلة الضحى تقوى به الحياة وتنمى به الناميات وما عرض بعد ذلك من فترة الوحي فهو بمترلة الليل إذا سجى لتستريح فيه القوى وتستعد فيه النفوس لما يستقبلها من العمل. ومن المعلوم أن النبي ﷺ لاقى من الوحي شدة أول أمره حتى جاء إلى خديجة رضي الله عنها ترجف بوادره كما هو معروف في حديث الصحيحين. [1] فكانت فترة الوحي لتثبيته عليه الصلاة والسلام وتقوية نفسه على احتمال ما يتوالى عليه منه حتى تتم به حكمة الله في إرساله إلى الخلق. ولهذا قال له: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) ﴾ أي إن كرة الوحي ثانيا سيكمل بها الدين وتتم بها نعمة الله على أهله وأين بداية الوحي من نهايته؟ وأين إجمال الدين الذي جاء في قوله: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) ﴾ الخ من تفصيل العقائد والأحكام الذي جاء في مثاني القرآن ثم زاد الأمر تأكيدا بقوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) ﴾

فمن هذا نعلم أن الحلف بالضحى والليل في هذا المقام ليس مجرد تذكير بآياته ونعمه فحسب. بل هو أيضا إقامة دليل على أن تترل الوحي أشبه بضحوة النهار وأن

(١) البخارى فى الصحيح / كتاب التفسير /حديث رقم ٤٦٧٠، ومسلم فى صحيحه /كتاب الإيمان/ حديث رقم ١٦٠.

فترة الوحي أشبه بهدأة الليل فإذا كانوا يتقبلون الضحى والليل بالرضا والتسليم لما فيهما من نفع الإنسان بالسعي والحركة والحياة بالنهار والنوم والاستجمام بالليل يجب أن يتقبلوا أيضا ما يجري على محمد ﷺ من نزول الوحي وفترته للمعنى الذي سلف.

المثال الثاني: أقسم الله ﷻ بالتين والزيتون في قوله جل ذكره: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ﴾ التين: ١ – ٤. قال العلامة المرحوم الشيخ محمد عبده عند تفسيره لهذه السورة ما نصه:

وقد يرجح أنهما أي التين والزيتون النوعان من الشجر ولكن لا لفوائدهما كما ذكروا بل لما يُذَكِّران به من الحوادث العظيمة التي لها الآثار الباقية في أحوال البشر. قال صاحب هذا القول: إن الله تعالى أراد أن يذكرنا بأربعة فصول من كتاب الإنسان الطويل فإنه كان يستظل في تلك الجنة التي كان فيها بورق التين وعندما بدت له ولزوجته سوآتهما طفقا يخصفان عليهما من ورق التين. والزيتون إشارة إلى عهد نوح عليه السلام وذريته وذلك أنه بعد أن فسد البشر وأهلك من أهلك منه بالطوفان ونجى نوح في سفينته واستقرت السفينة نظر نوح إلى ما حوله فرأى المياه لا تزال تغطي وجه الأرض فأرسل بعض الطيور لعله يأتي إليه بخبر انكشاف الماء عن بعض الأرض فغاب ولم يأت بخبر فأرسل طيرا آخر فرجع إليه يحمل ورقة من شجر الزيتون فاستبشر وسر وعرف أن غضب الله قد سكن وقد أذن للأرض أن تعمر ثم كان منه ومن أولاده تجديد القبائل البشرية العظيمة في الأرض التي امحى عمرانها فعبر عن ذلك الزمن بزمن الزيتون. والإقسام هنا بالزيتون للتذكير بتلك الحادثة وهي من أكبر ما يذكر من الحوادث.

﴿ وَطُورِ سِينِينَ (٢) ﴾ إشارة إلى عهد الشريعة الموسوية وظهور نور التوحيد في العالم، بعد ما تدنست جوانب الأرض بالوثنية وقد استمر الأنبياء بعد موسى يدعون قومهم إلى التمسك بتلك الشريعة إلى أن كان آخرهم عيسى ﷺ جاء مخلصا لروحها مما عرض عليه من البدع. ثم طال الأمد على قومه فأصابهم ما أصاب من قبلهم من الاختلاف في الدين وحجب نوره بالبدع وإخطاء معناه بالتأويل وإحداث ما ليس منه

بسبيل فمن الله على البشر ببداية تاريخ ينسخ جميع تلك التواريخ ويفصل بين ما سبق من أطوار الإنسانية وبين ما يلحق وهو عهد ظهور النور المحمدي من مكة المكرمة. وإليه أشار بذكر البلد الأمين. وعلى هذا القول الذي فصلنا بيانه يتناسب القسم والمقسم عليه. (١)

(١) مناهل العرفان ٢٢٢/١، تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده صـ ١٣٨.

المطلب السادس

دفع شبهة القول بأن المكي من القرآن قد اشتمل على لغو من الكلام في كثير من فواتح السور بخلاف المدني.

يقولون: إن القسم المكي من القرآن قد اشتمل على لغو من الكلام في كثير من فواتح السور مثل الم وكهيعص. وذلك يبطل دعوى المسلمين أن القرآن بيان للناس وهدى وأنه كلام الله. وأي بيان وأي هدى في قوله: ﴿الم﴾ وقوله: ﴿كهيعص﴾؟ بل هذه الأحرف وأمثالها في غاية البعد عن الهدى بدليل أنه لم يهتد أحد منهم ولا الراسخون في العلم لإدراك معناها، فالخطاب بها كالخطاب بالمهمل وإنما هذه الألفاظ من وضع كَتَبَة محمد من اليهود تنبيهاً على انقطاع كلام واستئناف آخر ومعناها أوعز إلي محمد أو أمرني محمد يشيرون بذلك إلى براءتهم من الإيمان بما يأمرهم بكتابته، وقريب من هذا قول بعضهم: إن الحروف العربية غير المفهومة المفتتح بها أوائل بعض السور إما أن يكون قصد منها التعمية أو التهويل أو إظهار القرآن في مظهر عميق مخيف أو هي رمز للتمييز بين المصاحف المختلفة ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآنا[1].

الرد على هذه الشبهة:

ولتفنيد الشبهة أقول: إن هذه الشبهة ساقطة من وجوه بيانها فيما يأتي:-

أولاً: صاحب هذا الادعاء كفانا مؤنة دحضه وإبطاله لأنه يشك ويتردد بين أمرين متناقضين ثبوت أحدهما ينفى الآخر، فكون هذه الأحرف قصد منها التعمية والتهويل وإظهار القرآن في مظهر عميق مخيف؛ يقتضى أن الرسول -ﷺ- نطق بها وكانت فى عهده، وكونها رموزاً وضعت للتمييز بين المصاحف المختلفة ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآنا؛ يقضى بأنه لم ينطق بها الرسول -ﷺ- ولا كانت فى زمنه،

(١) أسرار عن القرآن لجرجس سال ص ١١، ١٢، ٤٧، موجز دائرة المعارف الإسلامية صـ ٨١٩٩، مناهل العرفان ٢٢٢/١.

ونقض القرآن لا يكون بهذا الشك والاضطراب والترديد بين أمور متناقضة [١].

ثانياً: دعوى أنها من وضع بعض الكتبة اليهود الذين كانوا يكتبون الوحي للنبي ﷺ أشد بطلانا ففي أي كتاب من كتب التواريخ العربي منها وغير العربي أن النبي كان له كتبة من اليهود وكيف يأتمن النبي يهوديّا على كتابة الوحي وعنده صفوة من أصحابه المخلصين الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة، وفي أي لغة من لغات العالم أن الم أو طس أو كهيعص معناها أوعز إليّ محمد أو أمرني محمد وما ذكره الطاعن في كهيعص لا يخرج عن عبث الصبيان، فإنها تقرأ على نهج ثبت بالتواتر وتلقاه الخلف عن السلف، والقراءة سنة متبعة ليست بالهوى ولا بالتشهي، ولا يغيب عن ذهننا أن جل هذه الفواتح– وبخاصة فاتحة مريم– إنما نزلت بمكة ومن قال: إن مكة كان بها يهودا لحق أن هذا الكلام لا يصدر إلا ممن تجرد من الحياء وصدق القائل: «إذا لم تستح فاصنع ما تشاء».

ثالثاً: أن اليهود لم يعرف عنهم الطعن في القرآن بمثل هذا. ولو كان هذا مطعناً عندهم لكانوا أول الناس جهرًا به وتوجيهاً له لأنهم كانوا أشد الناس عداوة للنبي ﷺ والمسلمين، ويتمنون أن يجدوا في القرآن مغمزًا من أي نوع يكون ليهدموا به دعوة الإسلام، كيف وهم يكفرون به حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق؟

رابعاً: لو أن هذه الأحرف المقطعة ألغاز أو كلام عاطل لا معنى له، –كما يقولون– لكان أول من تصدى له أساطين الكلام من المشركين، ولما تركها العرب المعارضون للدعوة فى عصر نزول القرآن، وهم المشهود لهم بالفصاحة والبلاغة، والمهارة فى البيان إنشاءً ونقداً؛ فعلى قدر ما طعنوا فى القرآن لم يثبت عنهم أنهم عابوا هذه " الفواتح " وهم أهل الذكر " الاختصاص " فى هذا المجال. وأين يكون الذين يتصدون الآن لنقد القرآن من أولئك الذين كانوا أعلم الناس بمزايا الكلام وعيوبه؟!

(١) نقض مطاعن فى القرآن للشيخ محمد عرفة صـ ٧٩ بتصرف.

وقد ذكر القرآن نفسه مطاعنهم فى القرآن، ولم يذكر بينها أنهم أخذوا على القرآن أىَّ مأخذ، لا فى مفرداته ولا فى جمله، ولا فى تراكيبه. بل على العكس سلَّموا له بالتفوق فى هذا الجانب، وبعض العرب غير المسلمين امتدحوا هذا النظم القرآنى ورفعوه فوق كلام الإنس والجن. ولشدة تأثيره على النفوس اكتفوا بالتواصى بينهم على عدم سماعه، والشوشرة عليه(١).

خامسًا: كما يقول الشيخ الزرقانى – رحمه الله– اشتمال القرآن على كلمات غير ظاهرة المعنى لا ينافي وصف القرآن بأنه بيان للناس وهدى ورحمة فإن هذه الأوصاف يكفي في تحققها ثبوتها للقرآن باعتبار جملته ومجموعة لا باعتبار تفصيله وعمومه الشامل لكل لفظ فيه. ولا ريب أن الكثرة الغامرة في القرآن كلها بيان للتعاليم الإلهية وهداية للخلق إلى الحق ورحمة للعالم من وراء تقرير أصول السعادة في الدنيا والآخرة.

وهذا الجواب مبني على أحد رأيين للعلماء في فواتح تلك السور وهو أن المعنى المقصود غير معلوم لنا بل هو من الأسرار التي استأثر الله بعلمها ولم يطلع عليها أحد من خلقه. وذلك لحكمة من حكمة تعالى السامية وهي ابتلاؤه سبحانه وتمحيصه لعباده حتى يميز الخبيث من الطيب وصادق الإيمان من المنافق بعد أن أقام لهم أعلام بيانه ودلائل هدايته وشواهد رحمته في غير تلك الفواتح من كتابه بين آيات وسور كثيرة لا تعتبر تلك الفواتح في جانبها إلا قطرة من بحر أو غيضا من فيض. فأما الذين آمنوا فيعلمون أن هذه الفواتح حق من عند ربهم ولو لم يفهموا معناها ولم يدركوا مغزاها ثقة منهم بأنها صادرة من لدن حكيم عليم عمت حكمته ما خفي وما ظهر من معاني كتابه ووسع علمه كل شيء عرفه الخلق أو لم يعرفوه من أسرار تنزيله: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} البقرة: ٢٥٥

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا

(١) حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين ص ٦٣.

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ آل عمران: ٧ ولا يفوتنك في هذا المقام أن تعرف أن ابتلاء الله لعباده ليس المراد منه أن يعلم سبحانه ما كان جاهلا منهم حاشاه حاشاه فقد وسع كل شيء علما. إنما المقصود منه إظهار مكنونات الخلق وإقامة الحجج عليهم من أنفسهم فلا يتهمون الله في عدله وجزائه إذا جعل من الناس أهلا لثوابه وآخرين لعقابه: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾ الكهف: ٤٩.

الرأي الثاني في فواتح السور: أن لها معنى مقصودا معلوما. قالوا: لأن القرآن كتاب هداية والهداية لا تتحقق إلا بفهم المعنى خصوصا أننا أمرنا بتدبر القرآن والاستنباط منه وهذا لا يكون إلا إذا فهم المعنى أيضا [١]. وقد اختلف أصحاب هذا الرأى فى بيان المراد منها فذهب الكثيرون إلى أنها أسماء للسور، وذهب المحققون إلى أنها أسماء للحروف الهجائية المعروفة، وفائدة ذكرها في فواتح السور، إما إقامة الحجة على إعجاز القرآن من أقصر طريق وأسهله، ذلك أن هذا القرآن مركب من جنس هذه الحروف الهجائية التي منها يركبون كلامهم، وبها يتخاطبون، وقد تحداهم المرة تلو المرة أن يأتوا بشيء منه فعجزوا وما استطاعوا، فكان هذا دليلا ساطعا على أنه ليس من عند بشر وإنما هو من عند خالق القوى والقدر، وإما تنبيه السامع إلى ما يتلى بعدها لاستقلالها بنوع من الإغراب فهي كأداة التنبيه لما يتلى بعدها فيفرغ السامع لذلك قلبه وسمعه فتقوم عليه الحجة باستماع القرآن، وقد يقع الكلام من نفسه موقع التأثير فيؤدي به إلى الإيمان، فهي إذا ليست غير مفهومة المعنى، والخطاب بها ليس من قبيل الخطاب بما لا معنى له.

وهناك آراء أخرى كثيرة فى بيان معاني هذه الأحرف وتأويلها تنظر فى مظانها [٢].

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٢٢٦.

(٢) تراجع هذه الأقوال فى تفاسير الزمخشري والرازي والآلوسي عند تفسير أول سورة البقرة، وفى تفسير المنار فى أول سورة الأعراف، وفى مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٢٢٦ فقد أجاد وأفاد.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا ما يسره الله ﷻ ولست أزعم أني وصلت ببحثي إلى الكمال فالكمال لله وحده، وحسبي أني اجتهدت بقدر طاقتي البشرية. متضرعاً إلى الله أن أكون قمت ببعض الواجب عليَّ نحو هذا الدين العظيم.

فبعد هذه الجولة السريعة الممتعة في أجواء القرآن، أثمرت تلك الجهود من نتائج وفوائد نستخلص ما يلي:

١ – أغلب الطعون تَكَفَّل القرآن الكريم بالرد عليها إجمالا وأجاب عنها النبي (صلى الله عليه وسلم) تفصيلا.

٢ – هؤلاء الطاعنون يرددون الطعون ويتناقلونها، ويتواصون بها، ويأخذها الرجل عن الآخر ثم يعيد صياغتها مرة أخرى، معرضين عن أجوبة العلماء عليها ، وضاربين بعرض الحائط تفنيد العلماء لها، وهذه علامة أهل الأهواء، وصدق الله إذ يقول: {ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك. . } [فصلت: ٤٣].

٣ – العلمانيون لم يكن طعنهم في القرآن الكريم مباشرا، وأما المستشرقون فقد كانوا يطعنون طعنا مباشرا؛ لأنهم يعلمون خطورته في إذكاء روح التحدي في الأمة، وأما تلاميذهم من العلمانيين فقد كانوا أكثر ذكاء في الطعن، فهم يعلمون مكانة القرآن في نفوس المسلمين، ومدى إتقانه وإحكامه، فالطعن فيه مزلة مدحضة مسقطة للسمعة من أول الأمر، لذلك فقد كانت طعونهم تحوم حول الحمى.

٤ – لقد اتضح أن أكثر المستشرقين ليس فيهم من الاعتدال شيء ولا من الإنصاف، بل هم يغرون المسلمين بكثير من الكلام الجميل عن الإسلام؛ وذلك ليوصفوا

بالاعتدال والإنصاف، فإذا فُتحتْ لهم الأبواب، وأصغت لهم الآذان، جاءت الطعون من كل حدب وصوب.

٥ – من المفارقات العجيبة أن يكون هؤلاء المتطفلون على ديننا، الطاعنون في كتاب ربنا، مرجعا لكثير من الكُتّاب الإسلاميين، وكأن الأمة الإسلامية عقمت أن تأتي بأمثال هؤلاء.

٦ – ومما يؤسف له أن بعضاً من أدعياء العلم والثقافة أخذوا يرددون كلام الملاحدة ويطعنون في الدين، متسربلين بشعار البحث العلمي والحرية الفكرية، وكذبوا في دعواهم.

فهذا جهد المقل وعذري أن الكمال لغير ذي الجلال محال، فالمرء غير معصوم والنسيان من طبع الإنسان.

وفى الختام : أقول لمن حاول إثارة الشبهات والتشكيك في كتاب الله، وإنما مثل هؤلاء المشككين كوَعْلٍ غَرَّه قَرْنَاه، فرَأَى ذاتَ يومٍ صَخْرَةً عظيمة راسيةً شامخةً ، فأراد أن يفتتها فنطحها، فتحطم قرناه، وأما الصخرة فما أحست من ذلك بشيء

كنـاطِحٍ صَـخْرةٍ يومـاً ليُوهنُهـا فلَـمْ يُضِـرْها وأَوْهَـى رَأْسَـه الوَعْـلُ[1]

فالإسلام كالبحر الخضم ، لا يضره من ألقى فيه بحجارة محاولا إيذاءه .

ومَـا يَضُـرُ البَحْـرَ أمْسَـى راسـياً إذا رَمَـى إليـه صَـبِي بحَجَـرْ[2]

فدين الله دائمًا هو الغالب، جعلنا الله –تعالى– من أتباعه وأنصاره، اللهم اجعلنا

(١)شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ص٥٠١ عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام ط / الشركة المتحدة للتوزيع – دمشق، شرح إبن عقيل ٢/ ١٠٩ الناشر : دار الفكر – دمشق

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ص ٤٠٢ المؤلف: عبد المحسن بن زبن بن متعب المطيري ط / دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان .

نخشاك كأننا نراك، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الصافات: ١٨٠-١٨٢).

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

توصيات البحث

الحمد لله ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء ما شئت- يا رب- من شيء بعد. والصلاة والسلام على حبيبنا محمد وآله وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

١ - أرى لزاما علي أن أوصي جميع الباحثين في الدراسات القرآنية أن يعتنوا بمثل هذه الأبحاث التي تدفع الشبهات المثارة حول كتاب ربنا.

٢ - دفع الشبهات سلاح حاد فتاك يجب أن يحمله كل جندي يغامر لإعلاء كلمة الله ورفع راية التوحيد وتقويض صرح المشككين والمضللين ويدافع عن حوزة القرآن الكريم.

٣ - دفع الشبهات سلاح حاد فتاك يجب أن يحمله كل جندي يغامر لإعلاء كلمة الله ورفع راية التوحيد وتقويض صرح المشككين والمضللين ويدافع عن حوزة القرآن الكريم.

والله أسأل أن يجعل هذه الجهود المتواضعة خالصة لوجه الله الكريم ويغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين إنه جواد كريم وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه ومن ترسم خطاهم إلى يوم الدين.

قائمة أهم المصادر والمراجع

أولا: التفسير وعلوم القرآن

١ – القرآن الكريم – جل من أنزله.

٢ – الإتقان في علوم القرآن – المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣ – البرهان في علوم القرآن – المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م

٤ – التحرير والتنوير – المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٥ – تفسير القرآن العظيم – المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ط: دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

٦ – تفسير القرآن العظيم «جزء عم» – المؤلف: عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم العاصمي ط/: دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية الناشر: دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م

٧ – جامع البيان في تأويل القرآن – المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ط: مؤسسة الرسالة – الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

٨ – دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها – المؤلف: عبد المحسن بن زبن بن متعب المطيري ط/ دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م

٩ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ط: دار الكتب العلمية – بيروت: الأولى، ١٤١٥ هـ

١٠ – الكشاف – المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) ط: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

١١ – لباب النقول في أسباب النزول – المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل الناشر: دار إحياء العلوم – بيروت

١٢ – مباحث في علوم القرآن – المؤلف: صبحي صالح الناشر: دار العلم للملايين الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠

١٣ – مباحث في علوم القرآن – المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م

١٤ – محاسن التأويل – المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

١٥ – المدخل لدراسة القرآن الكريم – المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: مكتبه السنة – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

١٦ – معالم التنزيل في تفسير القرآن – المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن

مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) ط: دار طيبة للنشر والتوزيع: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

١٨ - مفاتيح الغيب - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

١٩ - مناهل العرفان في علوم القرآن - المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة

٢٠ - الموسوعة القرآنية، خصائص السور - المؤلف: جعفر شرف الدين الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٠ هـ

٢١ - نقض مطاعن فى القرآن - المؤلف: محمد بن احمد ط/ عرفه: المكتبة الازهرية مصر

ثانيا - الحديث الشريف وعلومه

١ - الإصابة في تمييز الصحابة - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ط: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ

٢ - دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني - المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) الناشر: دار النفائس، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٣ - دلائل النبوة - المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٤ – صحيح البخاري – المؤلف: محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري الجعفي الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٥ – صحيح مسلم – المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٦ – فتح الباري شرح صحيح البخاري – المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩

ثالثا – كتب أخرى

١ – أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه – المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) الناشر: مكتبة الحسين التجارية – القاهرة

٢ – أساس البلاغة – المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٣ ـ أصول علم النفس د./ أحمد عزت راجح: طبع دار الكتاب العربي – القاهرة – السابعة.

٤ – تاج العروس من جواهر القاموس – المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) الناشر: دار الهداية

٥ – التعريفات – المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى

١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٦ – التوقيف على مهمات التعاريف – المؤلف: زين الدين محمد المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: عالم الكتب القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

٧ – الروض الأنف في شرح السيرة النبوية – المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ

٨– السيرة النبوية لابن هشام – المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م

٩ – شرح ابن عقيل – المؤلف: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة الثانية، ١٩٨٥ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد

١٠ – شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب – المؤلف: عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام ط/: الشركة المتحدة للتوزيع – دمشق الأولى،١٩٨٤

١١ – عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير – المؤلف: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ) الناشر: دار القلم – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤/.١٩٩٣

١٢ – القاموس المحيط – المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

١٣– لسان العرب – المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ط: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

١٤ – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت

١٥ – مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة– المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

١٦ – منهج القرآن فى الرد العلمي على الشبهات والافتراءات، د./ محمد داود، مجلة منبر الإسلام، ، جمادي الآخرة ١٤٣٤هـ

١٧ – موسوعة بيان الإسلام، الرد على الافتراءات والشبهات / القسم الأول، القرآن ط دار نهضة مصر، إعداد نخبة من العلماء

١٨ – نهاية الأرب في فنون الأدب – المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

فهـرس المحتـويات

الملخـــــــص ٢
المقدمة ٦
المبحث الأول : الشبهات وما يتعلق بها ١٢
المطلب الأول : تعريف الشبهات ونشأتها ١٣
المطلب الثاني : دوافع إيراد الشبهات ١٦
المطلب الثالث : منهج القرآن الكريم في الرد على الشبهات ١٩
المبحث الثاني : الشبه التي أثيرت حول المكي والمدني ٢٥
المطلب الأول : دفع شبهة حول مغايرة الأسلوب بين القرآن المكي والمدني ٢٦
المطلب الثاني : دفع شبهة حول قصر الآيات والسور المكية، وطول الآيات والسور المدنية ٣٥
المطلب الثالث : دفع شبهة القول بخلو المكي من المنطق والبرهان في مناقشة الخصوم بخلاف المدني ٣٩
المطلب الرابع : دفع شبهة القول بخلو المكي من التشريعات والأحكام العملية بخلاف المدني ٤٤
المطلب الخامس : دفع شبهة حول التشكيك في القرآن وإثبات أنه تأثر بالوسط الذي وجد فيه ٥١
المطلب السادس : دفع شبهة القول بأن المكي من القرآن قد اشتمل على لغو من الكلام في كثير من فواتح السور بخلاف المدني. ٥٨
الخاتمة ٦٢
قائمة أهم المصادر والمراجع ٦٥
فهرس الموضوعات ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.